



روايات مصرية للخيال
رجل المستحيل

الجحيم المزدوج

TV

Looloo

www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - عَجَبُ الجَحِيمِ ..

الأحد : الرابع من يونيو .. الحادية عشرة والنصف مساء .. انتشر رجال الأمن ، التابعون لجهاز المخابرات الشرقية ، في أرجاء ذلك الفندق الأنيق ، من فنادق (برلين الشرقية) ، وراخوا يفتشون حجراته في خشونة وجدة وعنف ، ويستجوبون نزلاءه في أسلوب قسّ مثير ، وقد تحوّلوا ، من قرط غضبهم وثورتهم ، إلى كائنات أشبه بذئاب مفترسة ، يفتنوا الجوع ، تبحث في وحشية وإصرار عن فريسة ..

وكانت تلك الفريسة تحمل اسم (أدهم صبرى) .. كانوا يحملون مدافعهم الآلية في تحفّز وتوتر ، وأصابعهم تلتصق بأزديتها في هياج ، لا ينظر سوى بادرة من الشك .. فقط بادرة .. ويتحوّل المكان إلى جحيم حقيقى ..

رجل واحد ، في (برلين الشرقية) كلها ، كان يعلم — علم اليقين — أين هو (أدهم صبرى) ..

وهذا الرجل يدعى (موشى) .. (موشى حايم دزواليل) ..

كان يقينه يأتي من أنه — وفي تلك اللحظة بالذات — كان
يصوب قذوة بندقيته إلى رأس (أدهم) ..

كان يرفد على بطنه ، فوق سطح البناية المقابلة للفندق ،
وكعب بندقيته ملتصق بكفه في قوة ، وعينه تتطلع غبر منظار
البندقية المقرب إلى (أدهم) ، وسبائه تضغط الزناد في رفق
وخبرة وهدوء ..

وكان هذا الرجل ، الذي يعمل في صفوف (الموساد) ،
يحوز شهرة خاصة ..

شهرة تقول إنه لا يخطئ إصابة هدفه قط ..

وقبل أن تنحصر سيابة (موسى) الزناد ، وتطلق تلك
الرصاصات ، التي تستقر — حتماً — في رأس (أدهم
صبرى) ، راح عقله يسترجع الأحداث ، منذ البداية ..
منذ منتصف ليل الأول من يونيو ..

في ذلك اليوم ، وتلك الساعة ، بدأ كل شيء ..

بدأ (موسى) عملياته الجديدة ، التي تقتضي قتل خمسة من
المقتل رجال المخابرات المصرية ، في خمس عواصم أوروبية
مختلفة ..

ولقد نجح (موسى) في قتل أربعة منهم ..

ثم تصدى له (أدهم) و (منى) في المهمة الخامسة ،
وأحبطاها ، وهزما ..

وهنا قرّر (موسى) أن يتصدى لـ (أدهم) ..
وأن يقتله ..
وبدأ الصراع ..

وأبلغ (موسى) رؤسائه ، بأن (أدهم صبرى) قد ظهر
على الساحة ، فخففت قلوب رؤسائه رعباً وطلبوا منه التخلي
عن العملية ، والعودة إلى (تل أبيب) ، وكلّفوا رجلهم
الجنرال (سمحون) ، تنظيم عملية كبرى ، أطلقوا عليها اسم
(تصفية الشيطان) ، للقضاء على (أدهم صبرى) ،
وإغلاق ملفه إلى الأبد ..

واستعان الجنرال (سمحون) بعملية مزدوجة ، تعمل
لحساب (الموساد) ، في صفوف المخابرات السوفيتية ، وهي
الشعراء الشرسة ، ذات الصنمين الزرقاوين اللامعين ،
(ماريتا بوشكين) ، التي نجحت في اختطاف (منى) من
مطار (برلين الغربية) ، ونقلها إلى (برلين الشرقية) ،
حاكمتها بتهمة التجاسوسية ..

وهنا عرّدت (موسى) على رؤسائه وقرّر أن أحدا غيره لن
يقتل (أدهم صبرى) ..

وحانت له فرصة مناسبة ، حينما كان (أدهم) يطارد
مخطفي (مى) ، قبل عبورهم حدود (برلين الشرقية) ،
ولكنه أصاعها ، لأنه أراد أن يقتل (أدهم) على نحو
استعراضى شهير ..

واختفى (أدهم) ، وكان من جراء هذا الاختفاء أن يدل
(موسى) خطته وأسلوبه ..

لقد قرر أن يقتل (أدهم) فحسب ، دون استعراضات ،
أو أساليب مبهرة ..
المهم أن يقتله ..

لقد تمرد على الأوامر ، وصار مبروذا ، خائفا ، في صفوف
(الموساد) ، والعملية الوحيدة ، التى تمكنه من العودة
ظافرا ، هى أن يقتل (أدهم صبرى) ..

وتبع (موسى) (أدهم) — غير الحدود — إلى (برلين
الشرقية) ، حيث التقى (أدهم) به (مارتينا بوشكين) فى
ذلك الفندق ، وحدد رجال الأمن التابعين لها ، وأفقدوها
الوعى ، ثم شرع يدل ثيابه بتياب أحد رجال الأمن (١٠) ..

(١٠) وراجع الجزء الأول (ألف وجه) .. المدايرة رقم (٦٦) : لمزيد
من التفاصيل ..

وهنا نعود إلى لقطة البداية ..

نعود إلى حيث يصوب إليه (موسى) بندقيته ، من سطح
البنية المقابلة ، ونكرر فى إصرار ..

أن (موسى دزرائيل) لم يخطئ إصابة هدفه أبدا ..

ثانية واحدة ، وتطلق رصاصة (موسى) ..

ثانية واحدة ، ويلقى (أدهم صبرى) حقه برصاصة
غادرة ..

ولكن مهلا ..

ثانية واحدة ، قد تنقلب فيها كل الدنيا ، رأسا على
عقب ..

لقد كانت سبابة (موسى) تضغط الزناد فى رفق ، ورأس
(أدهم) أمام عينيه هدفا واضحا ..

ولكن فجأة .. اختفى الهدف ..

حجبه جسد آخر ..

جسد (مارتينا بوشكين) ، التى استعادت وعيها ،
وانقضت على (أدهم) فى غضب ، فقفزت متعلقة بعنقه من
الخلف ، وهى تصرخ فى هياج :

— التَّجْدَةُ يَارَجَال !! لَقَدْ أَمَسْتُ بِالْجَاسُوسِ ..
التَّجْدَةُ !!

(رَفَعَ) مُوشَى) عَيْنَهُ عَنْ عَدْسَةِ مَنَظَارِ بِنْدَقِيَّتِهِ الْمُقَرَّبِ فِي
مَدْهَشَةٍ ، وَهَتَفَ فِي حَتَقٍ :
— اللَّعْنَةُ !!

ثُمَّ عَادَ بِجَاوِلِ تَصْوِيبِ بِنْدَقِيَّتِهِ فِي عِنَادٍ وَغَضَبٍ ، وَلَكِنْ
الْمَشْهَدُ أَمَامَهُ كَانَ مَتَوَكِّراً ، عَظِيفاً ، فَقَدْ تَحَرَّكَ (أَدَهْمُ) فِي
سُرْعَةٍ ، فَأَدَارَ ذِرَاعَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وَقَبِضَ عَلَى شَعْرِ
(مَارْتِينَا) الذَّهَبِيِّ الطَّوِيلِ ، وَنَزَعَ ذِرَاعِيهَا مِنْ حَوْلِ عُنُقِهِ فِي
قُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ ، ثُمَّ اغْنَى إِلَى الْأَمَامِ ، وَأَلْقَاهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَهُوَ
يَقُولُ فِي سَخَرِيَّةٍ :

— مَهْلًا أَيُّهَا الْأَفْعَى ، إِنَّ الْجَاسُوسَ شَدِيدَ الْعِنَادِ هَذِهِ
الْمَرَّةَ .

وَلِىَ قَفْزَةً بَارِعَةً ، مَرْنَةً ، مَدْهَشَةً ، ارْتَفَعَ جَسَدُ (أَدَهْمُ)
فِي الْهَوَاءِ ، وَقَبِضَتْ قَدَمُهُ لَتَوَكُّلٍ مُصْبَاحِ الْحَجَرَةِ ، وَعَشْمَتِهِ .
فَبَسَدَ الظَّلَامُ دَاخِلُهَا ، فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي اسْتَعَادَتْ فِيهَا
(مَارْتِينَا) تَوَازُنَهَا ، وَعَادَتْ تَنْقُضُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ تَصْرُخُ :
— التَّجْدَةُ يَارَجَال !!

هَبَطَ (أَدَهْمُ) عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَلَطَمَهَا لَطْمَةً قَوِيَّةً ، أَلْقَاهَا
مَرَّةً أُخْرَى فَوْقَ الْفَرَاشِ ، وَهُوَ يَهْتَفُ فِي حَزَمٍ :
— كَفَى أَيُّهَا الْأَفْعَى ، لَقَدْ بَدَأَ صِيَاحُكَ يُرْجِعُنِي .

تَعَالَى فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ صَوْتُ أَقْدَامِ الْجُنُودِ ، وَهُمْ يُفَرِّعُونَ
إِلَى الْحَجَرَةِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، إِثْرَ لِنْدَاءِ قَائِدِهِمْ ، عَلَى حَيْنِ شَعْرِ
(مُوشَى) ، وَهُوَ يَرْتَدُّ عَلَى سَطْحِ الْمَيْسِ الْمَقَابِلِ ، يَغْضِبُ
هَائِلًا ، بَعْدَ أَنْ حَجَبَ ظِلَامُ الْحَجَرَةِ (أَدَهْمُ) عَنْ مَرْمَاهُ ،
وَحَاوَلَ عَبَثًا أَنْ يُمَيِّزَ جَسَدَ خَصَمِهِ ، ثُمَّ هَتَفَ مُخْتَفِقًا :
— لَقَدْ أَفْلَتَ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ مَرَّةً أُخْرَى .

أَمَّا (أَدَهْمُ) ، فَقَدْ اغْنَى فِي سُرْعَةٍ ، مَلَقَطًا بِمَدْفَعِي
الْجُنْدِيِّينَ ، اللَّذَيْنِ أَفْقَدَهُمَا الْوُغَى مِنْ قَبْلِ ، ثُمَّ الدَّفْعَ إِلَى خَارِجِ
الْحَجَرَةِ ، وَرَأَى جُنُودَ (مَارْتِينَا) يَنْدَفِعُونَ نَحْوَهُ ، غَيْرَ مُمَرِّ
الْفَنْدُقِ الطَّوِيلِ ..

وَكَانَ وَحْدَهُ ، فِي مُوَاجَهَةِ عَشْرَاتِ الرِّجَالِ ..
فِي مُوَاجَهَةِ الْجَحِيمِ لِنَفْسِهِ ..

تَبِضُ قَلْبُ (مَنِى) فِي عَنَفٍ وَأَلَمٍ ، وَهِيَ تَكْمُ فِي أَعْمَاقِهَا
صَرَخَةً هَائِلَةً ، مَعَ ذَلِكَ الْأَلَمِ الْقَطِيعِ ، الَّذِي تَشْعُرُ بِهِ ، حِينَمَا

غرمت حارسة السجن المركزي البديعة إبرة ساحة ، تحت
ظفر إبهامها ، وهي تقول في خشونة شامة :

— هل تروق لك ذلك أيتها المصرية الحسناء ؟.. هيا ..
اكلمي صرخاتك ، ولكنتك ستجئني على زكيتك طالبة
الفقر ، وستوقعين على اعتراف كامل بخيانك ، بعد أن أزين
أصابع كفك وقدميك بإتري الساعة ..

سالت دموع الألم والمرارة من عيني (منى) ، وهي تقول
في صوت مُحْتَقِق :

— أيتها المتوحشة .. أقسم أن أقتلك ، لو قدر لي الخروج
من هنا ..

أطلقت الحارسة ضحكة ساخرة وحشية مقيتة ، ووضعت
إبرة طويلة أخرى فوق الموقد المشتعل ، وهي تقول في سخيرية :

— الخروج من هنا ؟.. هناك طريق واحد للخروج من
هنا أيتها الجاسوسة .. طريق يذهب إلى الجحيم مباشرة ..
طريق بلا عودة ..

اختلطت ضحكتها الساخرة هذه المرة بصرخة ألم هائلة ،
عجزت (منى) عن كتمانها ، حينما غرمت تلك المتوحشة
إبرتها الساخنة الثانية تحت ظفر سبابة (منى) ، التي لشت من
الألم ، وهتفت في مرارة وبأس ، من خلال دموعها الغزيرة :

— أين أنت يا (أدهم) ؟.. أين أنت ؟..

اندفع رجال (مارتينا) ، عبر رواق الفندق ، نحو ذلك
الرجل ، الذي يرتدي زياً مماثلاً لهم ، ويقفز عبر الحجرة
المفتوحة ، وقبل أن يتخذ أحدهم قراراً بشأنه ، استدأروا
بدوره مواجهتها باب الحجرة ، وراح يطلق عليه رصاصات
مدفعه الآتني ، وهو يصرخ بالألمانية :

— أسرعوا يارفاق .. الجاسوس هنا .. لقد وصلتم في
الوقت المناسب .. إنه يحاول قتل الرفيق (مارتينا) ..

حسمت صرخته قرارهم ، فانضموا إليه جميعاً ، يمتطرون
الحجرة برصاصاتهم ، وقد تصوّروا من زيه ، ولغته السليمة ،
أنه أحدهم ، وليس ذلك الذي يبحثون عنه ، وتراجع هو
باتسامة ساخرة ، حتى تعالى صوت (مارتينا) من داخل
الحجرة ، تصرخ في ثورة :

— أيتها الأغبياء .. إنه ليس هنا .. لقد خدعكم ..
خدعكم جميعاً ..

تهبهم صرختها إلى خدعته ، فاستدأروا إليه في سرعة ،
ولكن رصاصات مدفعه استقبلتهم في ترحاب ، فأطارت

أسلحتهم ، واختارت أذرعهم وميقاتهم ، ولكنها — وهذا ما أدهشهم — لم تصب من أحدهم مقنلاً ، على الرغم من لقهم في قدرة ذلك الشيطان الذي يواجههم ، على إرسالهم جميعاً إلى الجحيم ..

ولكن من حسن حظهم أن (أدهم صرى) يفضى القتل .. يفضى ، عالم تحفّه الضرورة ..

وسقط عشرات الجنود ، وهم يتظلمون في مزيج من الرغب والذهول إلى (أدهم) ، الذي انطلق يقدو غجر الممر الطويل ، ويقفز سُلّم الفندق هابطاً ، موجّهاً ضرباته ، وركلاته لكل من يعترض سبيله ، ومطلقاً ، رصاصات مدفعيه ، بين حين وآخر ، على مدفع آلي ، أو ذراع أو ساق ..

وغير (رجل المستحيل) الجحيم ..

عشره في بسالة أذهلت الجميع ، وألقت في قلوبهم الرغب ، حتى بلغ باب الفندق الخارجى ، فقفز داخل واحدة من سيارات الأمن ، وأطلق محركها العنان ..

وانطلقت السيارة تشقى طريقها ، غبر شوارع (برلين الشرقية) ، وصرخ أحد ضباط فرقة الأمن في مراة وثورة :

— الحقوا به .. أريد جسده ، مهما كان الثمن ..

وانطلقت ثلاث سيارات خلف سيارة (أدهم) ، الذي انحرف بسيارته في طريق جانبى ، وهو يغمغم ساخراً :

— ها أيها الأوغاد .. فلنختبر مهارتكم ..

ودون أن يُوقَف سيارته ، قفز منها في رشاقة ، وتركها تواصل طريقها ، على حين انطلق هو في سرعة ، ليختبئ داخل أحد الأبنية ، في نفس اللحظة التي انحرفت فيها السيارات الثلاث خلف سيارته ، وراح رجالها يطلقون على السيارة نوابهم ، فانحرفت ، بعد أن فقدت قائدتها ، وارتطمت بجدار مبنى مقابل ، وتوقفت ..

وفي اللحظة التي قفز فيها الجنود من السيارات الثلاث ، واندفعوا نحو سيارة (أدهم) ، كان هو قد بلغ سطح البناية ، التي اختبئ داخلها ، وانطلق يقدو فوقه ، حتى بلغ نهايته ، ثم قفز ..

قفز لمسافة تقارب الأمتار الأربعة عرضاً ، ليهبط فوق سطح المبنى المجاور ، وواصل غلوه ، وانتقاله من مبنى إلى آخر ، وهو يغمغم في سخرية :

— هيا .. أمطروا السيارة برصاصاتكم ، وأحيطوا بها ،
وحاصروا المنطقة كلها .. ولكنكم خسرتم هذه الجولة .. لقد
غبر صيدكم أسوار الجحيم ،
وانعقد حاجباه ، وتلاشت ابتسامته الساحرة ، وهو
يزحف في غضب :
— ولكنه سيديفقكم جحيماً آخر .. جحيم غصية مصرى
ثائر .



ثم تفر لمسافة تقارب الأمطار الأربعة فوق سطح مبنى المخازن .

٢ - الغضب ..

هتف (دافيد) في مرارة ، وهو يلوح بذراعيه ساخطاً ، أمام الجنرال (سمحون) :

— لقد نجح ذلك الشيطان المصري في الفرار أيها الجنرال ..
لقد أفسدت تلك الغيبة ، (مارتينا) ، خططنا كلها بعنادها .
ابسم (سمحون) في تراج ، وهو يقول في هدوء :

— اطمئن يا عزيزي (دافيد) .. إننا لم نخسر اللعبة بعد .
هتف (دافيد) في دهشة :

— كيف ؟! .. لقد فقدنا أثر (أدهم صبرى) ، وهماوى ذلك الحصار ، الذى أحكمناه حوله !!

هز (سمحون) رأسه نفياً في بطله ، وهو يغمغم في تكاسل :

— ليس بعد يا (دافيد) .. ليس بعد .

اتسعت عينا (دافيد) في دهشة وخيرة ، على حين استنورد (سمحون) في هدوء :

— هل تعلم لماذا طلبت من (مارتينا) أن تنهم زميلته (منى)

بالحاسوسية ؟ .. لأن هذا سيثير مزيداً من غضبه ، وسيدفعه إلى بدل كل المحاولات الممكنة : لإنقاذ زميلته .
واتسعت ابتسامته ، وهو يُؤدِّف في زهو :

— وسيعيده هذا إلى رُفعة الشطرنج يا عزيزي (دافيد) ، وستكون الرُفعة هذه المرة هي السجين المركزي ، حيث يحتفظون بزميلته .

سأله (دافيد) في دهشة :

— هل تظن أنه سيخاطر بالذهاب إلى هنا ؟

أوماً (سمحون) برأسه إيجاباً ، وغمغم في هدوء :

— بالتأكيد .. مع (أدهم صبرى) يمكنك أن تتوقع أكثر الأمور والمواقف تهوراً ونجراً .

وتلاشى هدوءه ، مع نبرة المَقْت التي شابت صوته ، وهو يُؤدِّف :

— إنه شيطان !! شيطان حقيقى !!

أطلَّت نظرة باردة صارمة ، من عيني الجنرال (بالفولف) ، وهو يقول لـ (مارتينا) في حزم :

— نجح في الفرار ؟! .. كيف أيها الرفيق الملازم

(مارتينا) ؟ .. كيف يتجمع رجل واحد في الفرار من كنية
كاملة من رجالنا ، ومن مكان أحكمنا الحصار حوله ؟

عقدت (مارتينا) حاجبها في غضب ، وهي تقول :
— إنه ليس رجلاً عادياً

قال الجنرال في صرامة :

— من المفروض أنك لست فتاة عادية أيضاً .. أليس
كذلك آتيا الرفيق الملازم ؟

احتقن وجهها ، وهي تغمغم في عصبية :

— إننا لم نفقد أثر ذلك الشيطان تماماً أيها الرفيق الجنرال .
أجابها في لحظة باردة ، تحمل قسماً من السخرية :

— هكذا !؟ .. كيف ؟

هضت في جلبة :

— لقد سجلنا محادثة هاتفية ، أجراها مع (القاهرة) ،

وتحدث خلالها مع رجل يُدعى (قلدرى) ، وحدد له موعداً
لقابلته في الخامسة من مساء غد ، أمام مقرّ الحزب .

بدا الاعتماد على وجه الجنرال (بالفوف) ، وهو يقول :

— في الخامسة !؟ .. عظيم .

ارتجف صرخها بالخماس ، وهي تقول :

— سنلقى القبض عليه هناك ، في ذلك الموعد بالضبط .

أجابها في صرامة :

— كلاً .. لا نلقى القبض عليه .

حدقت في وجهه بدهشة ، فأمرع يُؤدّف في صرامة
غاضبة :

— مُرّى الجميع بقتله ، فور رؤيته .. هذه هي الوسيلة
الوحيدة للتعامل مع الجواسيس .

تألّقت عينها ، واقتَرّ ثغرها عن ابتسامة شرسة ، وهي
تقول :

— نعم أيها الرفيق الجنرال .. سنقتله .. سنقتل ذلك
الشيطان (أدهم صبرى) .

لم يكذب (أدهم) يجد نفسه بعيداً عن منطقة الفندق ، التي
حاصرها رجال الأمن ، وأشجعوها بخط وتقيّاً عنه ، حتى
أسرع يلقى المدفعين الآليين ، ويخلع زنى رجال الأمن ، ثم عدّل
من ثيابه ، وهبط من سطح البناية ، التي انتهى إليها فراره ،
وسار وسط الطريق في هدوء ..

كان يحفظ بشعره المصوغ باللون الأشقر ، ولكنه فقد

ذلك القناع ، الذى صنعته فى (برلين الشرقية) ، أى أنه كان
يسير فى الطرقات بملاحه الحقيقية ..

ولكن ذلك لم يفلته ..

كان كل القلق ، الذى يحملته فى أعماقه ، موجها نحو

(منى) ..

كان يتساءل عن مصيرها ، بعد أن أنبأته (مارتينا) أنها سجناء
فى السجن المركزى ، بتهمة التجسس .. فقد كان يعلم وسائل
الشرقيين ، فى انتزاع المعلومات والاعتقالات ، من أسراهم ،
وكان هذا يثير فى جسده قشعريرة قلق واشتزاز ..

وعندم فى غضب هادر :

— لو أن هؤلاء الأوغاد مسوا شعرة واحدة من (منى) ،
فأقسم أن أقتلهم جميعا شر قتلة .

ثم أطبق شفطى فى غضب ، وهو يفكر فيما آله إليه الموقف ..

إنه وحيد ، بلا سلاح ، وبلا عون ، فى مدينة تموج برجال
الشرطة والأمن ، وكل واحد منهم يسعى خلفه ، وبجاهد
لاقتصاصه ..

إنه أشبه بصليب وحيد ، أطلق الصيادون خلفه كل كلاب
الصيد ..

ولكن هذا لم يثبط من عزيمته ..

إنه يعلم الآن أين (منى) ، وبفى أن يعلم كيف يصل
إليها ..

وسيقا تل بكل ما يملك من قوة ، حتى يفعل ..

حتى يتفدّها من سجنها ، ومن ذلك البلد الكتيب ، الذى
استقبله بالعدوان والتهران ..

وبينا كان مستغرقا فى أفكاره ، انطلق من خلفه صوت
صارم يقول :

— قف ، واستدر فى بطة .

توقف (أدهم) فى هدوء ، واستدار يواجه صاحب
الصوت فى بطة ، فطالعه ثلاثة من رجال الأمن ، يتقدمهم
ضابط برتبة ملازم ، والجميع يصوبون قواهم مدافعهم الآلية
إليه . ورأى الضابط يتقدم نحوه ، قائلا فى صرامة :

— أوراقت .

أجابته (أدهم) بالألمانية ، فى هدوء شديد :

— ماذا هناك أيها الملازم ؟ .. إننى مواطن شريف ، وعضو
بالحزب الشيوعى و ..

قاطعه الضابط فى صرامة :

— أبرز أوراقتك بسرعة .

ابسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— حسنا .. هاهي ذى .

وفي حركة سريعة ، بل أسرع من البرق ذاته ، أمسك
ماسورة مدفع الضابط ، وجذبه إليه ، ثم أحاط عتق هذا
الأخير بدراعه الفولاذية ، وهو يقول في صرامة :

— مَرَّ رجالك بإلقاء أسلحتهم ، أو تفقد عتقك أيها
الملازم .

سرى التوتر في أجساد رجال الأمن الثلاثة ، وانغلخوا
وضعا قتاليا ، وهم يصوبون أسلحتهم نحو (أدهم) في تحفز
وعصبية ، على حين صاح الملازم في غضب :

— مُحال أيها الجاسوس .. مُحال .

ثم صرخ في لهجة صارمة آمرة :

— أطلقوا النار أيها الرفاق ..

وارتجت المنطقة كلها بدوى الرصاصات ..

٣ — ليل طويل ..

خبطت (مارتينا) داخل قبو السجن المركزي ، بقامة
متنصبة ، وحاجبين ملتصقين في غضب وصرامة ، واستقبلتها
الحارس الوحشية البديئة في ترحاب ، فسألتها (مارتينا) في
برود :

— هل حصلت على الاعتراف ؟

امتقع وجه الحارسة ، وهي تفهم :

— ليس بعد أيها الرفيق الملازم .

سألتها (مارتينا) في غضب :

— لماذا ؟

ارتجفت الحارسة ، وهي تقول :

— لقد فقدت المصرية وعيها أيها الرفيق الملازم .. لم تحمل

سوى أربع إبر ، ثم سقطت فاقدة الوعي .

صرخت (مارتينا) في غضب :

— كان عليك إحضار طبيب السجن لإفافتها .. إنني لن

أصبر عليها طويلا ، أريد هذا الاعتراف قبل مساء الغد .

هتفت الحارسة ، وهي ترتجف :

— بالتأكيد أيتها الرفيق الملازم .. مستحصلين عليه

بالتأكيد ، ولكن

صرخت في وجهها :

— ولكن ماذا ؟

تراجعت الحارسة في خوف ، وهي تقول :

— ولكن الطبيب ليس هنا .. إنه سيعود صباح الغد .

زفرت (مارتينا) في غضب ، وهي تقول في عصبية :

— يا هذا اللعين !.. أيقظ أنه لي يجمع راسمالي ، حتى

يتجاهل الأوامر ، ويعود إلى منزله هكذا ؟

غمضت الحارسة في اضطراب :

— إنه لم يتجاهل الأوامر أيتها الرفيق الملازم .. لقد حصل

على إجازة .

صاحت في وجهها بغضب :

— ومن منحه هذه الإجازة ؟

غمضت الحارسة في توتر :

— الجنرال (بالفلوف) .

احتقن وجه (مارتينا) ، وغمضت :

— حسنا .. ما دام الجنرال (بالفلوف) قد منحه الإجازة .

ثم أردفت في غضب :

— ولكنه سيفتح ؛ لإفاقة تلك المصرية اللعينة ، فور

عودته في الصباح .. ولو أنها أفأقت قبل ذلك ، فعليك مواصلة

تعذيبها على الفور .. أريد هذا الاعتراف قبل مساء الغد ،

مهما كان الثمن ، حتى ولو اضطر الأمر إلى تر أطرافها ،

واحدا بعد الآخر .. هل تفهمين ؟

ارتجفت الحارسة ، وهي تفهم :

— نعم .. نعم .. سأفعل بالتأكيد .

وارتجف جسد (منى) ، التي تتظاهر بفقدان الوعي .

حينما بلغت تلك العبارة الوحشية مسامعها ، وأيقنت أنه من

الضروري أن تواصل تظاهرها بفقدان الوعي ، فلم يقد

جسدها بحتم وسيلة جديدة من تلك الوسائل الشيطانية في

التعذيب ..

عليها أن تحتمل الليل كله .. وياله من ليل طويل !!

أدرك (أدهم) ، فور سماعه لصيحة الضابط ، أنه لا بد من

الدلاع الجسيم مرة أخرى ، فتحرك في سرعة ، ودفع الضابط

بعيدا ، ثم أطلق ليران المدفع الرشاش نحو الجنود الثلاثة ،
الذين أصابهم رُعب هائل ، حينما أصابت الرصاصات
مداخيمهم ، وألقت بها بعيدا ، دون أن تحس أحدهم بخدش
واحد ..

واتسعت عينا الضابط في دُهور ، وهو يتف :

— كيف ؟.. كيف فعلت هذا ؟

أجاب (أدهم) في سخرية :

— عجباً !! أتفجز عن فعل ذلك ؟

عقد الضابط حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— إننى لم أحاول من قبل .. إننا نطلق النار على الرؤوس

مباشرة ..

ارتفع لى تلك اللحظة صوت أبواق سيارات الشرطة ،
التي جلبها دوى الرصاصات ، فتألفت عينا الضابط ، وهو
يقول في حزم :

— ماذا ستفعل الآن أيها الجاسوس ؟.. سيحيط رجالنا

بك بعد لحظات ..

أجاب (أدهم) في صرامة :

— لست أظن أن ما سأفعله سيروق لك أيها الأثامى ..

لم يكذبتم عبارته ، حتى جرت سيارتنا شرطة على بعد أمتار
قليلة ، وصرخ الضابط في خيالة :

— لقد انتهى الأمر أيها الجاسوس .. لقد انتهت ..

ملأ الغضب أعماق (مارتينا) ، وهي تعود إلى منزلها في
الثانية صباحا ، وبلغت عصبيتها حدّا جعلها تعجز لمزتين
متاليتين — عن دس مفتاحها في لقب باب شقتها ، ثم لم تلبث
أن نجحت في محاولتها الثالثة ، وهي تتف في غضب :

— ماذا أصابك أيها المفتاح اللعين ؟

دفعت باب شقتها في عصبيّة ، ودلفت إليها ، ثم أغلقت
الباب خلفها في عنف ، ومدّت يدها لتوقد الأضواء ..

ولحظة .. أمسكت قبضة قوية بمعصمها ، فانتفض جسدها
في قوّة ، وهتّت بالصراخ ، لولا أن كمت يد قوية فمها ،
وارتفع صوت بارد صارم يقول :

— مهلاً يا (مارتينا) .. إنه أنا ..

تهلّلت أساريرها ، حينما أضاء صاحب الصوت الأضواء ..
ورفع كفيه عن فمها ومعصمها ، وهتّت في سعادة ، وهي
تتعلّق بعنقه :

— (موسى) ١١... أهو أنت ؟.. كيف حالك أيا العزيز ؟
 أبعده ذراعيا عن عنقه في برود ، وهو يقول :
 — نعم يا (مارتينا) .. هو أنا .
 هتفت في لحظة تشف عن سعادتها لرؤيته :
 — يا للشيطان !.. إننا لم نلتق منذ عملية (هوج كوخ) ..
 هل تذكرها ؟ .

أجاب في برود :
 — بالطبع .
 أطلقت ضحكة ناعمة ، وهي تقول في دلال :
 — بكل تفاصيلها ١٢
 أدهشتها تلك النظرة الصارمة ، التي أطلت من عينيه ،
 فسأته في خيرة :
 — ماذا بك ؟
 أجابها في صرامة :
 — أين (أدهم صبرى) ؟
 اختفت الخيرة من ملامحها ، وعقدت حاجبها في
 غضب ، وهي تقول :



فانظر جسدها في قوة ، وهمت بالصراخ ، لولا
 أن كانت يد قوية معها .

— وما شأنك به ؟ .. ألم تطلق الأوامر بالتخلي عن تلك المهمة ، والعودة فوراً إلى (تل أبيب) ..

جديها من شعرها الطويل فجأة ، في قسوة جعلتها تشبه النفاو دهشة ، وهو يقول :
— أين هو ؟

صاحت في غضب :

— لست أدري .. لقد هرب .

لوى ذراعها خلف ظهرها في خشونة ، ونجاهل تأوهات الألم ، التي انطلقت من بين شفتيها ، وهو يسألها في صرامة :

— هل نسيت أنني أفهمتك جيداً يا (ماريتا بوشكين) ؟ ..
لو أنك فقدت ألو (أدهم صبرى) تماماً ، ما عدت إلى منزلك أبداً .. إنك تعلمين أين هو ، أو أين يمكن أن يظهر على الأقل ،
وستخبريني بكل ما لديك ، وإلا حطمت ذراعك ، وشوّهت وجهك الجميل .

صاحت في غضب ، وهي تتأوه النفا :

— أيها الوغد الحقيير ، هل نسيت أننا كنا ستزوج يوماً ؟
حفظت ذراعها في عنف ، وجذب شعرها في قوة ، كادت تنزع من رأسها ، وهو يقول في حدة :

— أين (أدهم صبرى) ؟

صرخت في ألم ، ثم هطت في خنق :

— كفى أيها الحقيير .. إن ذلك الشيطان المصرى سيلقى بزميل له غداً ، أمام مقر الحزب ، في تمام الخامسة مساءً ،
ونحن نحفظ زميلك في السجن المركزي .
عاذ يسألها في صرامة :

— ما اسم ذلك الزميل ؟

هطت في ألم :

— (قدرى) .. اسمه (قدرى محمود) .

تفقد حاجبيه ، وهو يلطم :

— (قدرى) .. خبير التزوير البدين .. هذا طريف .

صاحت به (ماريتا) في غضب :

— اترك ذراعى أيها الوغد .. إنك ستشتمه .

أجابها في برود :

— بكل سرور يا عزيزتى (ماريتا) .

ثم هوى على مؤخرة عنقها بلكمة قوية ، فشبهت في ألم ،
وسقطت فاقدة الوعي ، على حين مطأه شفتيه في برود ،
وغمغم :

— معذرة يا (مارتينا) ، ولكن أحداً غيرى لن يقتل
(أدهم صبرى) ... إنه لى .. لى وحدى .

اندفعت سيارتا الشرطة نحو (أدهم) ، بحمولتها البالغة
عشرة جنود ، وضابطين ، وانطلقت رصاصات مدفع
(أدهم) الرشاش فى وجوههم بلا هوادة ، فأصابته عركتى
السيارتين ، واخترقت أذرع وسيقان خمسة من الجنود ،
والضابطين ، على حين أمطر الحصنة الباقون (أدهم)
برصاصاتهم ، فانطلق يركض كالصاروخ ، فى مسار
منعرج ، متفادياً الرصاصات فى مهارة مذهلة ، ثم انحنى فى
منعطف قريب ، وهم يطاردون فى شراسة ، ويختف بهم
الضابط الأول :

— الصلوة فور رؤيته .. فهو شيطان مريد .

انحنى الجميع خلف (أدهم) ، فى المنعطف ذاته ، ثم
توقفوا فى دهشة وخيرة ، فقد كان المكان خالياً تماماً ، إلا أن
الضابط قال فى عصبية :

— إنه يخفى فى مدخل إحدى البنايات بالتأكيد .. اعملوا
على تفتيشها جميعاً ، وبسرعة ..

ولكن (أدهم) كان فى تلك اللحظة يواصل الفرار ، على
نفس النحو السابق ..

من سطح إلى آخر ..

وبدت له تلك الليلة أطول ليالى عمره ..

كان ليلاً طويلاً ، يبدو كما لو كان بلا نهاية ..

ليلاً يطل الخطر من كل لحظة من لحظاته ..

ولكنه لن يهدأ ، ولن يتوقف ، حتى يستعيد (منى) ، أو
يهلك معها ..

توقف لحظة ، حينما بلغ نهاية السطح الثالث ، فقد كانت
المسافة التى تفصله عن السطح المقابل كبيرة ، تبلغ ستة أمتار
على الأقل ..

وتساءل (أدهم) ، هل سيملك القفز غير الفراغ ،
الذى يفصل بين السطحين ؟ ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع أو التفكير ..

كان عليه أن يتعد ، أو يواصل القتال ..

وتراجع (أدهم) أربعة أمتار إلى الخلف ، ثم انطلق
كالصاروخ ..

وقفز ..

قفر غُزِرَ الأمطار الستة ..

ولكنه لم يبلغ السطح المقابل ..

لقد بدأ جسده هبوطه ، بفعل الجاذبية الأرضية ، قبل أن

يصل إليه بتمر كامل ..

وهوى (أدهم) ..

هوى من ارتفاع خمسة طوابق ..



٤ - حتى الفجر ..

تألفت عينا الجنرال (سمحون) ، وهو يشعل سيجاره
القضم ، وينبث دُخانُه في الهواء يسطه ، قبل أن يقول
(داليد) بلهجة الحاملة ، التي لوجي بأن شيئاً لا يثير اهتمامه
على الإطلاق :

— إذن لقد ذهب (موسى) إلى (مارتينا) ... متى
أبلغتك ذلك ؟

أجاب (داليد) في تولر :

— الآن .. ولقد أخبرته أنها قد سجلت محادثة هاتفية ، بين
(أدهم صبرى) و (قدرى) ، خبير التزوير في إدارة المخابرات
العامة المصرية ، اتفاقاً خلالها على اللقاء في الخامسة مساء الغد ،
أمام مقر الحزب ، في (برلين الشرقية) .

أخلق (سمحون) عينيه في تكامل ، وهو يهمهم :
— وماذا ستفعل (مارتينا) ؟
هتف (داليد) :

— متحاصر المنطقة كلها بالطحح ، وستلقى القبض على
(أدهم) و (قدرى) معاً ، في الموعد المحدود للقائهما .
لكن (سمحون) دُخان سيجارة في بطنه ، وارتست على
شفتيه ابتسامة خاملة ، وهو يسهم في شجة أقرب إلى
السخرية :

— هكذا ؟ .. يا لها من حرقاء !!

سأله (داليد) في اهتمام :

— هل نغنى أن (مارتينا) لن يمكننا اللقاء القبض عليهما ؟
أجابته (سمحون) في بطنه :

— بل أغني أن (مارتينا) ستظن طويلاً ، فلن يذهب
ذلك الشيطان المصرى في الموعد أبداً .
هتف (داليد) في دهشة :

— كيف ؟

اتسعت ابتسامة (سمحون) ، وهو يقول في هدوء :

— لأنه ليس غيباً ، مثلك ومثل (مارتينا) ، يا عزيزى
(داليد) .. إنه محترف .. محترف يدرك جيداً قواعد اللعبة ،
وتجربتها .

عمهم (داليد) في خيرة :

— آية لعة ؟

تتأهب (سمحون) في ضجر ، قبل أن يجيب في هدوء ::
— الشطرنج يا عزيزى (داليد) .. لعبة الموت ..

لم يبلغ (أدهم صبرى) بداية السطح المقابل ..
لم تبلغ قفزه — هذه المرة — القوة المناسبة ، لعبور
أضار في الهواء ..
فهوى ..

قوى من ارتفاع خمسة طوابق ، ولكنه لم يفقد أعصابه
لحظة واحدة ، على الرغم من كل ما بذله من جهد ، وكل
ما يشعر به من تعب وإرهاق عيقين ..

وفي جزء من الثانية ، راح (أدهم) يدوس الموقف ، وفي
الجزء الثانى غت عيناه قائماً من الصلب ، يبرز من شرفة أحد
منازل المبني ، وفي الجزء الثالث ، وقبل أن تكمل الثانية ،
كان قد أعد خطة النجاة ، وعمل على تنفيذها على الفور ..
نفس ما يفعله ، حينما يقفز من طائفة ، بمظلة هبوط ، وقبل
أن يتضح المظلة ..

إنه في تلك اللحظات ، التي تسبق فتح مظلة الهبوط ،

بضمه على تغير وضع جسده ، والجزء المعرض منه لمقاومة الهواء ، ليتحكم في اتجاهاته ..

وهذا ما فعله ، ولكن بدون مظلة ..

لقد أمال جسده ، وتلقى كل دفع الهواء في قدميه وجانبه الأيسر ، مما جعل جسده يميل يميناً ، ورأسه ينخفض عن مستوى قدميه ، ثم تشبث بالقائم الصلب ، وشعر بالآلام مبرحة في ذراعيه ، وبعضلاته تكاد تتمزق ، حيناً أوقف القائم هبوطه بهشة ..

ومضت لحظة ، وجسد (أدهم) معلق من ذراعيه بالقائم الصلب ، ثم استدعى هو كل إرادته ، وإصراره ، وما بقي من قوته ، ليرفع جسده إلى أعلى ، ويجلس فوق إفريز الطابق الثالث من المبنى ، وراح يلهث في عنف ، بعد أن غاق الجهد الذي بذله ، كل قدرات أي بشرى عادية ..

حقاً .. لقد حطم حاجز المستحيل مرة أخرى ..

واستغرق لهاته دقيقتين .. دقيقتين فقط ، نهض بعدها في مرولة ، واستقر بقدميه فوق إفريز الشرفة الخارجى ، ثم قفز داخلها في هدوء ، وأخرج من جيبه مذبة صغيرة ، راح يعالج بها رناج الشرفة في سرعة ومهارة وصمت ، حتى استسلم له

الرناج ، والفتح مصراعاً باب الشرفة ، فوقف (أدهم) في حذر ، وتطلع إلى الحجرة الخالية ، التي قادته إليها الشرفة ، ثم دلف إليها ، وغادرها إلى هو المنزل ، وإلى حجراته ، ثم لم يلبث أن توقف وسط البهو ، هاتفاً في دهشة :

— يا إلهي !!! .. إنها شقة خالية .

كانت مفاجأة مدعشة حقاً ، أن تقوده قدماء إلى شقة خالية من أصحابها ، وقد كان يتوقع قهراً معهم ، لإجبارهم على استضافته ، حتى مطلع الصباح ، فألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وأغلق عينيه ، وغغم في ارتياح :

— هنيئاً يا (منى) .. إننا سننجو بالتأكيد ، مادام الله (سبحانه وتعالى) يؤازرنا إلى هذا الحد .. شكراً لك يا إلهي .. شكراً لك .

استرخى في مقعده ، وتنهد في ارتياح ، وهو يطلق عينه مستطرذا :

— هذا يذكرني بأننى لم أؤد صلاة العشاء بعد .

كان جسده يشعر بإجهاد لا مثيل له ، وبرغبة جارفة في الاسترخاء والنوم ، إلا أنه انتزع نفسه من كل هذا انتزاعاً ، واتجه نحو حمام المنزل ، ليخسل ويتوضأ ، ويؤدى الصلاة في خشوع تام ..

ولم يكذب حتى من أداء صلاته ، حتى سرى الريح في كل
ليلة من غلاياه ، وعاد إليه هدوء نفسه ، فتهد وهو يقول :

— والآن إلى العمل ..

وفي نشاط وهمة ، راح يقلب محبوبات المنزل البسيط ،
حتى عثر على ما يلزمه ، وبدأ عمله ..

بدأ عملاً استغرق منه ساعات طويلة ، حتى مطلع
الفجر .. ولكنه لم يكذب حتى منه ، حتى ابتسم في سحرية ،
وهو يتطلع إلى وجهه في المرأة ، ويغمغم :

— الآن إلى الجولة الجديدة ..

وكان هذه المرة يحصل وجهها جديداً ، وقلبا مُفَقَّصاً
ياخماس ، واستعداداً لجولة جديدة ..

جولة مع الموت ..

استيقظ طبيب السجن المركزي قرعاً ، على صوت
طرقات عتيقة على باب شقته ، وشهقت زوجته في رغب ،
وهي تقول :

— ماذا هناك يا (فولف) ؟ .. ماذا هناك ؟

أجابها في تولر ، وهو يفرغ إلى باب الشقة :

— لست أدري يا (هيلجا) .. لست أدري ..

لم يكذب بفتح باب شقته ، حتى تراجع في دهشة وخوف ،
وارتحف صوته ، وهو يتطلع إلى زوج من الصيون الزرقاء
اللامعة ، مفسفاً :

— الرقيق (مارتينا) ؟ .. مرحباً .. مرحباً بك في منزلي
المواضع ..

أزاحه (مارتينا) عن طريقها في صرامة ، ودلفت إلى
منزله ، وألقت نظرة لامبالية على زوجها ، التي تولأها
القرع ، ثم قالت له في حزم :

— هيا يا دكتور (فولف) ، هناك عمل يتطرق في قبو
السجن ..

أجابها الطبيب في اضطراب :

— ولكننا في الفجر أيها الرقيق الملازم ، ولم يكن موعد
العمل بعد .. و

أوقفته نظراتها الشرسة الصارمة ، فأردف في خطوات
متوترة :

— لا ريب أنه عمل عاجل .. اليس كذلك ؟

أجابته (مارتينا) في صرامة :

— لقد فقدت الجاسوسة المصرية وعيها ، وأريد منك أن تجعلها تفيق ، حتى تواصل استجوابها .

سُرت في جسده فتشغيرة ، وهو يتخيل ما ينظر (منى) ، حينما يعيدها إلى وعيها ، إلا أنه لم يملك سوى أن يجيب في استسلام :

— كما تأمرين أيها الرفيق الملازم .. كما تأمرين .. فقط سأرتدى ثيائي ، ثم ألحق بك هناك ، و قاطعة في صرامة :

— سندهب معاً .

اضطرب صوته ، وهو يقصم :

— بالتأكيد أيها الرفيق الملازم .. بالتأكيد .

أدازت عينيها إلى زوجها ، وهي تقول في حزم :

— نودى إلى الفراش يا (هيلجا) .. هذا العمل

لا يخصك .

اتسعت عينا الزوجة في رُعب ، وألقت نظرة مشفقة ملتاعة على زوجها ، ثم أسرعته إلى حجرتها ، دون أن تبس ببس شفة ، وأغلقت بابها خلفها ، على حين انضمت (ماريتا) إلى (هولف) ، وسألته في برود :

— كم من الوقت ستحمل تلك الجاسوسة المصرية وسائلك ، في رأيك ؟

غمغم في تولر :

— يمكنني أن أعمل على أن تحملها طويلاً ، حتى تؤدي باعتراف كامل .

أجابته في برود :

— هذا ما أنتظره منك ، فبعد أن تؤدي تلك الحقيرة باعترافها ، سيكون عليك أن تقوم بعمل آخر .

سألتها في قلق :

— أى عمل هذا ؟

تألفت عيناها ببريق شرس خفيف ، وهي تقول في بطة :

— أن تقتلها ..



٥ - لقاء الشرّ ..

الاثنين : الخامس من يونيو .. الثامنة والنصف صباحاً .
 غادر (قدرى) مطار (برلين الشرقية) ، حاملاً حقيبة
 صغيرة ، لا تناسب أبداً مع حجمه ، وبدانته المفروطة ،
 وتلفت حوله في قلق وترقب ، حتى اقترب منه رجل طويل ، أشقر
 الشعر ، أسود العينين ، كَثَّ الشارب ، منضج الوجنتين ،
 ضخم الكرش ، وسأله بالألمانية : في صوت ضخم ممتلئ :
 — هل تبحث عن واحدة من سيارات الأجرة يا سيدى ؟
 تألفت عينا (قدرى) ، وانسم وهو يقول بالإنجليزية :
 — هلا تتحدث بالإنجليزية يا رجل ؟ .. إنسى لا أجيد حرفاً
 واحداً من الألمانية للأسف .
 مط الرجل شفيه في أسف ، وعاد يقول بالإنجليزية ، وبكثرة
 ألمانية واضحة :
 — كنت أسأل ما إذا كنت تحتاج إلى واحدة من سيارات
 الأجرة .



حتى اقترب منه رجل طويل ، أشقر الشعر ، أسود
 العينين كَثَّ الشارب .

صفت (قدرى) ، فى صوت أقرب إلى الضحك :
— بالتأكيد .

انحنى الرجل يحمل حقيبة (قدرى) ، الذى تركها له فى
هدوء ، وتبعه إلى سيارة تحمل ألوان سيارات الأجرة ، فى
(برلين الشرقية) ، وحلّس ليحتل — بحسده الضخم —
مقعدها الخلفى كله ، على حين جلس السائق خلف عجلة
القيادة ، وهو يسأله بنفس الإنجليزية ، ذات اللمسة الألمانية :
— إلى أين ؟

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

— لست أدري .. أنت أعلم متى بذلك .

ابسم السائق فى هدوء ، وانطلق بالسيارة ، التى لم تكذب
تبعده عن المطار ، حتى تغيرت لكمة سائقها ولغته ، وهو يقول
فى هدوء ، وبلهجة مصرية خالصة :

— كيف حالك يا عزيزى البدين ؟

فهقه (قدرى) ضاحكاً ، وهو يقول :

— فى خير حال يا صديقى .. كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟

أراحتك أن كل رجل فى (ألمانيا الشرقية) كلها يسعى خلفك ..
أليس كذلك ؟

أجابته (أدهم) فى هدوء :

— هذا صحيح يا صديقى ، كيف أمكنتك التوصل إلى

ذلك الاستنتاج الرابع ؟

فهقه (قدرى) ضاحكاً مرة أخرى ، وهو يقول :

— استنتاج رائع ..! هذا ذاك يا صديقى ، ما إن

نطأ قدماك أرض دولة ما ، حتى يصاب كل رجل أمن فيها

بالجنون ، ويصبح الشغل الشاغل للجميع فيها ، هو العثور

عليك ، والتخلص منك .. ولكن ذغنى أمتك أولاً ، فتحرك

رائع ، ولولا أنك تصلد وجهها ، سبق لى أن استخرجت لك

جوازاً زائفاً ، يحمل صورته ، ما أمكنتى تعرّفك أبداً .

ابسم (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا من حسن الحظ يا صديقى البدين ، ومن حسن الحظ

أيضاً أنك قد فهمت لغوى رسالتى ، ولم تأخذ معناها حرفياً .

هز (قدرى) كتفيه المكتنطين ، وهو يقول :

— لم يكن ذلك هيناً يا صديقى ، لقد اضطررت لمراجعة

دفتر الشفرة السرى ، الخاص بالإدارة ، حتى أدرك ما الذى

كنت تعنيه بقولك : إننا سنلتقى فى الخامسة ، أمام مقبر

الحزب .. فلقد كنت واثقاً من أنك لا تغنى هذا حقاً ، خشية

أن يكون هاتفك مراقباً ، كما جرت العادة في (برلين الشرقية) ،
بدشوى الحفاظ على الأمن . . . ولقد فهمت — بعد مراجعة
الشفرة — أن عبارتك تعنى أن أسقط طائرة السادسة صباحاً
إلى (برلين الشرقية) ، وأنت ستطرقى في المطار .
أوماً (أدهم) يرأسه موافقاً ، وهو يقول :
— رابع يا صديقى . . . لقد أجذت عملك هذه المرة . ماذا
أحضرت معك ؟

غمز (قدرى) بعينه ، وهو يقول في حُبث :
— ألا تكفيك محتويات الحقية ؟
ابسم (أدهم) ، وهو يقول :

— ذُغك من ذلك يا صديقى البدين ، فكلانا يعلم أنها
لا تحوى شيئاً ، وأن ما بينى هو ما يملأ كرثك الضخمة .
فهقه (قدرى) صاحكاً ، وهو يقول :

— إنها الميزة الوحيدة ليكون المرء بديهاً يا صديقى . . إن
الشرقيين يفتشون الحقائب في عناية بالغة ، ولكن أحدهم لن
يلتكر في تفتيش كرث رجل مسلم ، يرى المظهر مثل .
وأزاح سترته الضخمة ، وحل أزرار قميصه ، ثم انتزع من
فوق كرثه كيساً من البلاستيك ، له نفس لون جسده ،
وناوله إلى (أدهم) ، قائلاً :

— لُحْذ يا صديقى . . . ستجدها كل ما تحتاج إليه . . . مسدداً
من البلاستيك ، وخزانتين ، تحوى كل منهما عشر رصاصات
بلاستيكية قوية ، وكل الأدوات اللازمة لتتأكد بكل
الوجوه ، وجوازى سفر لك ولـ (منى) ، بحملان
تأشيرة دخول إلى (ألمانيا الشرقية) ، وصورتين غالفان
ملاعكهما تماماً . . . هيا . . . لُحْذ كل ذلك .

أدهشه ذلك الانطباع ، المرتسم على وجه (أدهم) ،
الذى بدا وكأنه لم يسمع حرفاً واحداً مما نطق به ، فهتف به :
— ماذا هناك يا (أدهم) ؟

وعلى الرغم من الهدوء الشديد ، الذى تحدث به
(أدهم) ، إلا أن لحيته بدت في أدنى (قدرى) صرامة ،
حازمة ، مخيفة ، وهو يقول :

— يبدو أن لحظتنا لم تنجح تماماً يا (قدرى) .
عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يسأله في قلق :
— ماذا تعنى ؟

أجابته في هدوء ، يحمل نفس الصرامة والحزم :

— أغنى أنه هناك من يطارقنا في إصرار يا (قدرى) .
هتف (قدرى) في دُغور :

— رجال المخابرات السوفيتية ؟!

هــ (أدهم) ، رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلاً يا صديقي .. إنه رجل واحد .. رجل يدعى
(موسى) .. (موسى حاييم دزرائيل) ..

لم تفقد ملاح (موسى) جودها وبرودها ، وهو يتبع سيارة
الأجرة بسيارته ، على الرغم مما يملأ نفسه من فخر وزهو ، بعد
أن نجح في كشف تنكّر (أدهم) وخطته ..

لقد أدرك ، فور أن أخبرته (مارتينا) بضموى رسالة
(أدهم) الهاتفية ، أنه من المستحيل أن يكون ما قاله
(أدهم) ، هو ما يقنيه بالفعل ، فقد كان هذا عمالاً يليق برجل
مخابرات محترف ، شديد البراعة والذكاء ، مثل
(أدهم صبرى) ..

لقد أدرك على الفور أن هذه الرسالة تحمل معنى مخفياً ،
يسر خلف معناها الواضح الصريح ، وشعر بالحق ، لأنه
يجعل سر الشفرة الخاصة ، المستخدمة في أروقة المخابرات
المصرية ، ألا أنه كان يمتلك مزية جيدة ، ألا وهي أنه كان
يعرف شكل (قدرى) ، وهذا ما تجهله (مارتينا) ، ويجعله

جهازها ، لذا فقد أخذ يراقب الطائرات القادمة إلى مطار (برلين
الشرقية) ، منذ الفجر .. وهو يتوقع أن يظهر (أدهم) ما بين
لحظة وأخرى ، حتى رأى (قدرى) يغادر المطار ..

إنه يحترف بأن تنكّر (أدهم) كان بارعاً ، وأنه لم يتعرفه
أيذاً ، لولا اضمامة (قدرى) ، وتآلق عيبه ، وهو يتحدث
مع سائق سيارة الأجرة .. لقد فهم خطتها على الفور ، أن هذا
السائق المتفخ الوجنتين ، ذا الكرش الضخمة ، ما هو
إلا (أدهم) ؛ لذا فقد تبعه بسيارة ، منتظراً اللحظة المناسبة ،
التي يُوقع به فيها ، ويقتله ..

نعم .. كان هذا هو هدفه الأول ..

أن يقتل (أدهم صبرى) ..

وبكل هدوء ومهارة ، راح (موسى) يتبع سيارة الأجرة ،
التي يقودها (أدهم) ، حتى رآها تنحرف في طريق
جانبي ، فزاد من سرعة سيارته ، ليلاحق بها .. ولم يكده
ينحرف خلفها ، حتى ضغط كمّاحة سيارته بكل قواه ، فقد
رأى السيارة متوقفة ، ولحق من زجاجها الخلفى جسد
(قدرى) الضخم ، وهو يميل إلى الأمام ، كما لو كان ينهك في
حديث بالغ الأهمية مع سائق السيارة ..

ول هدوء .. جذب (موسى) مشط مسدسه ، وغنم :
 — اعتقد أنها النهاية هذه المرة يا رجل انظرات المصرية ..
 ثم انتقل إلى المقعد المجاور ، وغادر مبارته من الاتجاه
 المقابل ، حتى لا تعكس مرآة سيارة الأجرة الخفية صورته ،
 وتحرك نحوها في خطوات سريعة ، ثم انحنى يصوب مسدسه إلى
 حيث مقعد قيادتها ، وهو يقول في صرامة ، تتوج برثة الظفر :
 — الوداع يا (أدهم صبرى) ..
 وضغط زناد مسدسه ..



٦ — المعركة الحقيقية ..

رفع الطبيب (فولف) بوق ساعده الطبية ، عن موضع
 قلب (منى) ، وهو ينف في دهشة :
 — ولكنها ليست فاقدة الوعي .. ليست كذلك على
 الإطلاق .
 التقى حاجبا (مارتينا) في غضب هائل ، وهي تنف :
 — ليست ماذا ؟

ثم جذبت (منى) من شعرها في قسوة ، وهي تستطرد في
 ثورة :

— هل كنت تخدعينا طوال الوقت ، أيها المصرية الخفية ؟
 قاومت (منى) ضعفها ، وآلامها ، وتوترها ، لترسم على
 شفها ابتسامة ساخرة ، حاولت جاهدة أن تجعلها شبة
 بابتسامة (أدهم) ، وهي تفتح عيناها قائلة :
 — ولقد نجحت .. أليس كذلك ؟
 هزت (مارتينا) على وجهها بصفعة قاسية ، وهي تصرخ :

— أيتها اللعينة .

ثم عادت تجلبها من شعرها في عنف ، وهي تستطرد في هياج

— ساعدعين ثمن ذلك غالبا .. سأمر (فولجا) بتعديك ، حتى لتكرهين ذلك اليوم ، الذي ألتقيت فيه أمك .. وسأجعلك تخشين أمامي طالبة الصفح ، وتوقعين الاعتراف في استسلام كامل .

صاحت (منى) في وجهها بغضب :

— مهال أيتها الحقيرة .. إنني لن ألهم دولتي بالتجسس أبدا .. إنني أفضّل الموت .

صفعتها (مارتينا) مرة أخرى في عنف ، وهي تصرخ :
— كاذبة .

وازداد القاع عيبا الزرقاوين ببريق شرس مخيف ، وهي تؤدب :

— إنك ستفضلين الموت حقًا .. ستفضلينه بعد أن تنتهي منك (فولجا) .

ثم صرخت في هياج :

— (فولجا) .

أسرعت إليها الحارسة البدينة ، وهي تقول في اضطراب :
— بم تأمرين أيتها الرفيق الملازم ؟

رمقت (مارتينا) (منى) بنظرة وحشية ، وهي تقول في عصبية :

— لقد عدلت أوامري يا (فولجا) .. إنني أريد اعتراف هذه المصرية الحقيرة قبل الخامسة مساءً .. هل تفهمين ؟

تطلعت (فولجا) إلى (منى) في سخرية وشجاعة ، وهي تقول :

— هل أستخدم الصدمات الكهربائية أيتها الرفيق الملازم ؟ أرغب جسد (منى) ، حينما أحابت (مارتينا) في صرامة :

— نعم .. ولكن حذار أن تقتلها ، قبل أن توقع الاعتراف ..

وغادت عيناها تلتصعان في وحشية ، وهي تستطرد :

— سيخرج هذا انتصارى المُرذوخ ، بعد أن أقتل (أدهم صبرى) ، في تمام الخامسة .

* * *

لم تضغط سبّاية (موسى) زناد مسدسه ، إلى الحد الذي يكفى لانطلاق الرصاصة من فوهته ، فقبل أن يصل إلى هذا الحد ، تسمرت سبّابته فجأة ، ثم تراجعت في جلدته ، وهو يحلق في مقعد

القيادة الفارع في ذهنة ، ثم ارتسم الغضب على ملامحه ، وهو
يدبر قوة مسدسه نحو رأس (قدرى) ، قائلا في جلة :

— أين (أدهم) ؟

اتسم (قدرى) في سخرية ، وهو يقول في هدوء :

— لن تبحث عنه طويلا يا شيطان (الموساد) ، فهو
هناك .. خلفك .

قبل أن تبلغ الكلمة الأخيرة مسامع (موسى) ، شعر
بقوة مسدس (أدهم) تلصق بعموده الفقري ، وسمع هذا
الأخير من خلفه ، يقول في سخرية :

— ألقى مسدسك يا عزيزي (موسى) ، وحذار أن تقاوم ،
أو تحاول الانطاف في سرعة ، فأنت تعلم أن رصاصتي
ستخترق ظهرك ، قبل أن تفعل .

لو أن شخصا آخر هو الذى يقول ذلك ، وهو الذى
يلصق قوة مسدسه بظهر (موسى) ، ما تردّد هذا الأخير في
أن يتحرك بسرعة ، ويتعد عن مرمى النيران ، ثم يهاجم
خصمه ، ويقتله في سرعة البرق ، أما حينما يكون هذا الشخص
هو (أدهم صبرى) ، فالأمر يختلف ..

إن (موسى) يعلم جيّدا أنه لن يفوق (أدهم) في سرعة
الحركة أبدا ، وأن محاولته لن تُمنى سوى بفشل ذريع ، ما دام

خصمه هو (رجل المستحيل) ؛ لذا فقد ترك مسدسه يسقط
فوق مقعد السيارة الأمامي ، وهو يقول في برود ، لم يشف
عما يتصارع في أعماقه من غضب وسخط :

— حسنا يا رجل اخبارات المصرى .. إننى أعترف لك
بالبراعة هذه المرة .

أجاب (أدهم) في سخرية :

— وأنا كذلك يا رجل (الموساد) .

غمغم (موسى) في برود :

— إذن فأنت تعترف بهراعتي .. هذا طريف منك يا رجل
اخبارات المصرى .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول في تهكم
لاذع :

— من قال ذلك ؟ لقد كنت أفصد اننى كذلك أعترف
لنفسى بالبراعة .

عقد (موسى) حاجبيه ، وهو يغمغم في حق :

— أنت شديد الغرور يا (أدهم صبرى) ، وسيفتك هذا
يوما .

هز (أدهم) كتفيه في استهزاء ، وهو يقول :

— ربّما... ولكنى لا اعتقد أن هذا سيحدث اليوم .
 عقد (موسى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :
 — من يدرى ؟ .. إن هذا اليوم يوافق ذكرى نكسة
 جيشكم الكبرى ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .
 اكتست ملاح (أدهم) بالغضب ، وهو يقول :
 — كم أتمنى أن أقتلك ، من أجل عبارتك هذه أنها الوعد ؟
 عتف (موسى) فى حدة :
 — وماذا يمنعك ؟
 أجابه (أدهم) فى صرامة :
 — إنك أعزل هذه المرة أيضا .
 عتف (موسى) غاضبا :
 — لقد كنت أحمل سلاحى ، وأنت الذى جعلنى أغفل
 عنه .

أجابه (أدهم) فى غضب صارم :
 — ربّما لأننى لست مستعدا لقتلك الآن .
 قبض (موسى) قبضته فى غضب ، وهو يقول :
 — اسمع يا رجل المخابرات المصرية .. إن الحياة لن تسمع
 لكلينا معا ، لابد لأحدهما من أن يفسح الطريق للآخر .. ولى

المرة القادمة ، حينما لنضى ، سأحرص على ألا أكون أعزل ،
 وسأحمل سلاحى فى مواجهةك ، وعندئذ لن يكون أمامك
 الخيار ، فإما أن تقتلى ، أو أقتلك .
 زان الصمت برهة ، ثم أجاب (أدهم) فى حزم :
 — إننى أوافق .

شعر (موسى) بفُرقة مسلّس (أدهم) تتعد عن ظهره ،
 وراودته فكرة أن يلتقط مسلّسه بسرعة ، ويستدير ، ليطلق
 النار عليه ، أيّا ما كانت النتائج ، ولكن قبل أن تختصر الفكرة
 فى رأسه ، هوى مقبض مسلّس (أدهم) على مؤخرة عنقه ،
 فمادت به الأرض ، وسقط على ظهره ، وقبل أن يستعيد
 توازنه ، رأى (أدهم) يقفز داخل سيارة الأجرة ، وينطلق بها
 مبتعدا ، فنهض فى تحاذل وغمغم فى غضب :

— ابتعد يا رجل المخابرات المصرى .. لقد رحمت هذه
 الجولة ، ولكنك لن تربح المباراة .. إننى أعلم أين أجدهك فى
 الجولة القادمة ، وسنلتقى .. وحينئذ لن يكون أمامك الخيار ،
 سيكون عليك أن تربح .. أو تقتل .

لقد (قدرى) لمحجه المرحّة ، واكسى صوته بفلافل سبك
 من الدُخْر والقلق والتوتر ، وهو يستمع من بين شفتى (أدهم)

إلى ما حدث ، عند ساهر (أدهم) و (منى) إلى (برلين
الغربية) ، ثم هُتِفَ في جمع :

— ولكن هذا يعني أن (منى) في خطر بالغ يا (أدهم) ..
كثما نعلم تلك الوسائل البشعة ، التي يستخدمونها في السجن
المركزي ، لانتزاع الاعترافات من أسراهم .

انغلقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول في ضيق :

— أعلم يا (قدرى) ، ولهذا استدعيتك ، فلأبد لنا من
إنقاذ (منى) ، واستعادتها من بين أيديهم ، قبل أن يفتكروا بها .
هتف (قدرى) في ثورة :

— كيف ؟

أجاب (أدهم) :

— لقد أغلذت لحظتي يا صديقي ، وكنت أنتظر قدومك ،
لتقيدها .
هتف (قدرى) :

— حذار يا (أدهم) .. إنك تواجه عمالقة مخابرات
الشرق هذه المرة ، و ..
قاطعه (أدهم) في جدة :

— سأهزمهم جميعا يا (قدرى) ..
ولأن صوته ، وتسللت إليه نبرة حانية حزينة ، وهو يُؤرِّد :

— سأهزمهم من أجل (منى) .

هتف صوت (قدرى) ، حتى بات أشبه بالهسيس ، وهو
يقول :

— وماذا لو لم تنجح ؟

زفر (أدهم) في قوة ، وشرَّد ببصره ، وهو يقول في حزم :

— عندئذ متذهب رُوحى إلى بارئها في سلام يا صديقي .
وهي مُوقفة من أنني لم أذخر جهدا في سبيل إنقاذها .
همس (قدرى) في انفعال :

— يا إلهي !!.. إنك تدوب حبا لها .

أجاب (أدهم) في قوة :

— لكليهما يا (قدرى) .. له (منى) .. وله (مصر) .
ثم عاد يدير محرك سيارته ، وهو يُؤرِّد في حزم وصرامة :

— ومن أجلهما سأبدأ المعركة يا (قدرى) .. المعركة
الحقيقية ..



٧ - الطريق إلى الجحيم ..

عُدل الجنرال (بالفلون) وضع قبعته العسكرية فوق رأسه ،
وتأمل وجهه جيدًا في المرأة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم في
صرامة ، لا تخلو من لسة زهو :
— هكذا يكون القادة .

ثم فتح درجًا صغيرًا أسفل المرأة ، والتقط منه مسدسًا
صغيرًا ، دسّه في جراب أبيض من الجلد ، يتدلى من خزامه ،
واستدار استعدادًا للذهاب إلى مكتبه ، في إدارة اتقاسمات
الشرقية .. ولكنه لم يكذب يفعل ، حتى اتسعت عيناه في دُغْر
ودُغْر ، واتجهت يده في حركة غريزية نحو مسدسه ، ولكنها لم
تلبث أن تسوّرت ، حينما سمع صوت الرجل الجالس أمامه ،
والذي يصوب إليه قُوْضة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

— خذار أن تفعل يا جنرال ، ففنى اللحظة التي تمسّ فيها
أصابعك مقبض مسدسك : مستخرق جمجمتك ثلاث
وحاصات على الأقل من مسدسي ..



واتجهت يده في حركة غريزية نحو مسدسه ، ولكنها لم
تلبث أن تسوّرت ، حينما سمع صوت الرجل الجالس :

عقد (بالفوف) حاجيه الفيلطين ، وهو يقول في جلد
وقول :

— من أنت ؟ وكيف تجاوزت كل حراسي ؛ لتصل إلى هنا ؟
ارتفعت ابصامة الساحرة على شفتي الرجل ، وهو يقول :
— لم يكن ذلك بالصعوبة التي تتصورها ، خاصة بعد أن
حصلت ، من منزل صديقتي القديمة (مارتينا بوشكين) ،
على تقرير أمي ، يوضح موقع منزلك ، وعدد حراسك .
ارتفع حاجبا (بالفوف) في دهشة ، وهو ينف :
— ومن أين حصلت (مارتينا) على هذا التقرير ؟
هز الرجل كتفيه ، وهو يقول في برود :
— هذا من شأنها .

عاد (بالفوف) يعقد حاجيه ، وهو يقول في صرامة :
— حسنا .. سأجربها على إجابة هذا السؤال ، أمّا الآن ، فأنا
أنتظر إجابة سؤالك منك : من أنت ؟ .. وماذا تريد بالضبط ؟
عادت الابصامة الساحرة إلى شفتي الرجل ، وهو يقول :
— ستعلم الآن ماذا أريد منك .. أما بالنسبة لاسمى ، فأنا
أدعى (موسى) .. (موسى خذرايل) ..

دارت (مارتينا) بعينها إلى ذلك الميدان الكبير ، المنفذ أمام
مقر الحزب ، وتألقت عيناها ، وهي تقول لأحد الضباط ،
الذين أحاطوا بها :

— هل تمت كل الاستعدادات ؛ لإلقاء القبض على
الجاسوس ؟
أوما الضابط برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم أيها الرفيق الملازم .. هناك ثلاث كتائب كاملة من
الجنود ، يختبئون في كل مكان ، ويعيطون بالميدان إحاطة
السوار بالمعصم ، ومائة من الشرطة السريين يجولون داخله ،
في هيئة مواطنين عاديين ، ولقد أحكمنا تحصين كل الأسطح ،
ومداخل البنايات .. وما إن يدخل ذلك الجاسوس إلى
الميدان ، حتى نطبق عليه ، ولن يخرج من هنا حيا ، إلا وهو
مكبّل بالأغلال .

انجمت عيناها ، وهي تقول في انفعال :
— عظيم .. لقد استعدت ببعض الجهات ؛ للحصول على
صورة للرجل الذي سيلتقي به هنا ، ولن نخطئ معرفته ، فهو
شديد البدانة ، يميز الملاح .

تطلّع الضابط إلى ساعته ، وهو يقول :

— ولكن الوقت مازال مبكراً ، فحن في الواحدة ، ولن
 يتم اللقاء قبل الخامسة .
 أجابته في صرامة :
 — سطر .
 ثم أودعت في حزم :
 — إن القضاء على رجل مثل (أدهم صبرى) ، يستحق
 ما هو أكثر من ذلك بكثير .

انتصب حارس بوابة مبنى إدارة المخابرات الشرقية ، وأدى
 التحية العسكرية في احترام وتوقير ، حينما غيَّرت البوابة سيارة
 الجنرال (بافلوف) ، وليس الإدارة .. ولم يال الحارس كثيراً
 بذلك الانطباع الغاصب الصارم ، الذى ارتسم على وجه
 الجنرال ، وهو يغادر سيارته ، ويتجه في خطوات سريعة إلى
 داخل المبنى .. فقد اعتاد مثل ذلك الانطباع ، على وجه
 قائده ، الذى أسرع خارجه الخاص يتقدمه ، في خطوات
 أقرب إلى القلو ، ويفتح له باب مكتبه ، فدخل إليه الجنرال ،
 وهو يقول للحارس في صرامة :
 — أرسل إلى أفضل رجائنا

سأله الحارس في اهتمام :
 — أيهم ياسيدى ؟
 عقد الجنرال (بافلوف) حاجبه الكثين ، وهو يقول :
 — فليكن (ماندل) .
 غمغم الحارس في احترام :
 — معذرة أيها الرفيق الجنرال ، ولكن الرفيق العقيد
 (ماندل) يقوم بمهمة خاصة في (جيف) .
 هتف (بافلوف) في حدة :
 — أرسل (ألكسى) إذن ، أو أى رجل آخر .. هيا عليك
 الآن .
 أسرع الحارس بنفذ الأمر ، وهو يتساءل عن سبب حدة
 قائده هذا الصباح ، على حين اتجه (بافلوف) إلى مكتبه ،
 ووقف يتطلع غير النافذة إلى الخارج ، وهو يعقد كفيه خلف
 ظهره ، حتى سمع صوت أقدام ثقيلة تدخل مكتبه ، أعقبها
 صوت بارد أجش يقول :
 — العقيد (ألكسى) في خدمتك أيها الرفيق الجنرال .
 التفت إليه (بافلوف) ، وتأمل ملامحه لحظة ، ثم قال في
 صرامة :

— هناك لغرة عقيقة في جهازنا الأمنى يا (الكسى) .
 رفع (الكسى) حاجبه في دهشة ، وهو يقول :
 — لغرة عقيقة ؟!.. آية لغرة هذه يا جنرال ؟
 مطّ (باللوف) شففيه ، وهو يقول :
 — (مارتينا) .. الرفيق الملازم (مارتينا بوشكين) .
 هتف (الكسى) ، وقد تضاعفت دهشته :
 — ماذا يعنى ذلك أيها الرفيق الجنرال ؟
 جلس (باللوف) خلف مكتبه ، وسط راحيه على
 سطحه ، وهو يقول في حزم :
 — اسمع يا (الكسى) .. لقد تسلّل اليوم إلى منزلى
 جاسوس .
 اتسعت عينا (الكسى) في ذهول ، وهو يهتف ، في صوت
 بدا أشبه بشهقة قزع :
 — جاسوس ؟!.. في منزلك ؟!
 أوما (باللوف) برأسه في صرامة ، ثم مال إلى الأمام :
 قائلًا :
 — ولقد علمت منه أن (مارتينا) عاونته على ذلك ،
 وهذا يعنى أنها عميلة مُزدوجة ، تعمل لحساب جهة ما ،
 بخلاف الـ (كى. جى. بى.) .

كانت المفاجأة مريعة ، عقيقة ، حتى أن (الكسى) جلس
 على أوّل مقعد صادفه ، دون أن يستأذن قائده ، وهو يهتف في
 ذهول :
 — عميلة مُزدوجة ؟!.. لحساب من ؟
 هزّ (باللوف) رأسه نفياً ، وهو يقول :
 — لست أدري بعد ، وهذا ما سبذل أقصى جهدنا
 لمعرفة .
 وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد في شدة أمره :
 — فم بتفتيش منزل (مارتينا) ، وأقلب كل قطعة أثاث
 فيه .. ونقّب خلف كل حجر ، حتى تأقّ إليّ دليل ، يعرفنا
 لحساب من نخوننا .
 انتقلت صرامته إلى (الكسى) ، الذى نهض قائلاً في
 حزم :
 — سنفعل يا جنرال ، وسنتال الخاتنة عقابها .
 ثم لم تلبث الخيرة أن عادت إلى ملامحه ، وهو يسأله
 مستطردًا :
 — ولكن لماذا تسلّل ذلك الجاسوس إلى منزلك أيها الرفيق
 الجنرال ؟

هَزَّ (بالفولف) كَفَّيه في خَيْرَةٍ ، وهو يقول :

— لقد ادَّعى أنه قد جاء ليحْدُرني .

سَأَلَ (الكسَى) في دَهْشَةٍ :

— من (مارتينا) ؟

هَزَّ (بالفولف) رَأْسَهُ ، وهو يقول في خَيْرَةٍ :

— كَلَّا .. ولكن من رجل يدَّعي (أدهم صبرى) .

عَقَدَ (الكسَى) حَاجِيَهُ ، وهو يتف في دَهْشَةٍ :

— (أدهم صبرى) ؟ .. هل تقصد شيطان الخابرات

المصرية ، الذي فاقَت شهرته الآفاق ؟

أَجَابَهُ (بالفولف) في عَصِيَّةٍ :

— هو ذاته .

هَتَفَ (الكسَى) في الفِعال :

— ومِمَّ يَحْدُرُكَ ؟

قَلَّبَ (بالفولف) كَفَّيه في خَيْرَةٍ ، وقال :

— لقد قال إن (أدهم صبرى) سيتسلَّل إلى السجن

المركزي ؛ ليحاول إلْقااد زميلته ، التي تخجِزها هناك ، بتهمة التجسُّس .

عَقَدَ (الكسَى) حَاجِيَهُ في شِدَّةٍ ، وهو يقول :

— إلى السجن المركزي ؟ .. ولكن هذا مستحيل !!!

لا أحد يمكنه التسلُّل إلى هناك دون إرادتنا .

بعض (بالفولف) من خلف مقعده ، وهو يقول :

— سأنتقل على الفور إلى هناك ، وأتأكد من استحكام

وسائل الأمن ، أما أنت ، فقم بما أمرتك به .. ولو أن (مارتينا)

خائنة بالفعل ، فستدفع الثمن غاليا .. غاليا جدا ..

انقضَّ جسد (منى) في قُوَّةٍ ، حينما سرى فيه تيار كهربي

شديد ، ثم تراخى كله ، وسالت دموع الألم والمرارة من

عينيها ، وشحب وجهها في شِدَّةٍ ، فأطلقت الحارسَة البدينة

(فولجا) ضحكة قاسية ، وهي تقول في شجاعة :

— مارأيك أيتها الجاسوسة المصرية ؟ .. أتوقعين ذلك

الاعتراف الصغير ، أم أضغط الزرَّ مرَّةً أخرى ؟

هتفت (منى) في وَهْنٍ :

— اذهبي إلى الجحيم .

عقدت (فولجا) حَاجِيَهَا في غَضَبٍ ، وهي تقول :

— الجحيم من نصيبك أنت ، أيتها المصرية اللئيمة .

ومرَّةً أخرى انقضَّ جسد (منى) في قُوَّةٍ ، حينما ضغطت

(فولجا) الزرَّ ، ثم عاد يسترخي في ألمٍ ، مع صوت (فولجا) ،

وهي تقول في شِدَّةٍ :

— اننى لم أشهد من هو أشد عنادا منك آيتها المصرية ،
ولكننا نملك هنا العلاج المناسب لكل أنواع العناد .

ثم صاحت فى غضب :

— أين الدكتور (فولف) ؟

أجابها حارس القبر :

— لقد عاد إلى منزله ، ليتناول طعام الغداء .

صرخت فى هياج :

— هذا الغيى !.. لقد أمرتنا الرفيق الملازم (مارتينا)

بالحصول على الاعتراف ، قبل الخامسة ، وما كان له أن
ينصرف .

وقعت عينها فى تلك اللحظة على (فولف) ، وهو يعود

إلى القبر ، فاستطردت فى جملة :

— أين ذهبت ؟

أجابها فى برود لم تحده منه ، وبصوت أجش :

— إلى منزلى .. إن اللوائح تمنحنى ساعة لتناول الغداء ..

أليس كذلك ؟

عقدت حاجبها فى غضب ، وأشارت إلى جسد (منى) ،

الذى بلغ عذابها مبلغه ، وقالت :



ومرأة أخرى اتلفت جسد (منى) فى قوّة ، حينما صغفقت
(فولغا) الرّز ، ثم عاد يستريحى فى ألم .

— حسنا .. إننى أنتظر لك المصربة اللينة درسا
 سألها فى خشونة :
 — أى درس هذا ؟
 — تألفت عيناها فى دهشة ، وهى تقول :
 — لقد فشلت معها كل الوسائل ، وسندجأ إلى الوسيلة
 الأخيرة .
 اتسعت عينا (منى) فى رُعب ، حينما أردفت (فولجا) فى
 شمانية :
 — سنشر أطرافها ، واحدا بعد الآخر ، وسبقى يدها
 اليمنى للنهاية ، لتوقع بها الاعتراف .
 ظَلَّت ملاح (فولف) جامدة ، وهو يقول :
 — حسنا .. فلنفعل .
 ثم اتجه إلى صوان صغير ، وتساوَل منه منشازا صدقا ،
 ومشرطاً جراحيا قدينا ، وعاد بهما إلى حيث ترقده (منى) ،
 التى صرخت فى رُعب :
 — أيا المتوحشون .. أيا الأوغاد .
 مطر (فولف) شفتيه فى لامبالاة ، ثم اتجه بمشرطه ناحية
 معصم (منى) الأيسر ، وهو يقول فى برود :

— هل بدأ يكفها اليسرى ؟
 اتسعت (فولجا) فى وحشة وشراسة ، وهى تقول :
 — بل بقدمها اليمنى ..
 ثم أطلقت ضحكة مخيفة ، قبل أن تُردف :
 — إن القدم تنزف أكثر ..
 صرخت (منى) فى رُعب هائل :
 — كَلَّا .. كَلَّا .. أيا المتوحشون ..
 ول لامبالاة كاملة ، اتجه مشرط (فولف) نحو قدمها
 اليمنى ، وبدأ يستعد لشرها ..



٨ - الشيطان ..

كفى ..

ارتجت جذران قبو السجن المركزي ، بتلك الصيحة
الفاضية الصارمة ، التي سمّرت يد (فولف) في مكانها ،
وجعلت جسد (فولجا) يتنفض في قوة ، وجسد حارس القبو
يتصب في خوف .. واستدارت كل العيون إلى مصدرها ، حيث
يلف الجنرال (بالفوف) ، عاكفا حاجبيه الكتّين في غضب ،
وعاكفا كفيه خلف ظهره في صرامة ..

وأسرع الحارس يؤدي النحية العسكرية بدمرغفة ، على حين
بقيت ملاح (فولف) جامدة ، وشجب وجه (فولجا) ، وهي تقول :
— إنني أنفذ أوامر الرقيب الملازم (مارتينا بوشكين) ، أيها
الرقيب الجنرال .

صاح بها (بالفوف) في غضب :

— وهل كانت أوامرها تقتضي تحويل قبو السجن المركزي
إلى مجزر ، تبرؤ فيه الأطراف ، بلا رحمة أو شفقة ؟
غمغمت (فولجا) في ارتباك :

— إننا نستجوب جاسوسة أيها الرقيب الجنرال ، ولقد
احصلت كل وسائل الاستجواب ، ولم يُعد باقيا سوى تلك
الوسيلة ، كما تعلمنا ، و.....

قاطعها (بالفوف) في صرامة :

— قلت كفى .

ثم أزدف في حزم :

— خلّي وثاق الأسيرة ، فستصحبني إلى إدارة المخابرات ،
حيث نستكمل استجوابها بمعرفتنا .

عقدت (فولجا) حاجبيه في غضب ، بعد أن حرّمها
الجنرال منعها الشاذة ، في تعذيب الآخرين ، وغمغمت في
حقق :

— كما تأمر أيها الرقيب الجنرال .

وراحت تحمل وثاق (منى) في عصبية ، على حين التفت
(بالفوف) إلى الحارس ، وقال في صرامة :

— اذهب ، وانتظر في الخارج ، فلدى حديث برئى هنا .

أدى الحارس النحية العسكرية ، وأسرع الخطأ إلى
الخارج ، في حين وقف (بالفوف) في صرامة ، يراقب
(فولجا) ، وهي تحمل وثاق (منى) ، التي بدا الألم والوهن
واضحين في محياها ، ثم سأها في هدوء :

— هل تعرضت لأي نوع من التعذيب ؟

استمت في ضعف ومراة ، وهي تقول :

— هل تمزح ؟ .. لقد أذاقتي تلك اللعينة كل صنوف
العذاب ، بلا رحمة أو شفقة ، حتى كادت تبتلع أطراي ، لولا
وصولك .

خدج (بالفلوف) (فولجا) بنظرة غامضة ، تفيض مقنا
وكرامية ، فامتقع وجهها ، وهي تقول في جدّة :

— لقد كنت أنفذ أوامر الرفيق الملازم .

قال (بالفلوف) في صوت هادئ ، تجبّدت له — على الرغم
من ذلك — الدماء في عروق (فولجا) :

— هكذا ؟

جفّ لأعاب (فولجا) ، وهي تتطلّع في رُغب إلى عيني
(بالفلوف) الصارمتين ، وتُحِيل إليها — على الرغم من معرفتها
لصرامته الشديدة — أنه يبدو اليوم مُزجّبا ، وأن عيني لم تكونا
أبداً بمثل هذا الغضب والحزم ، وعمقت في صوت مضطرب :

— كنت أنفذ الأوامر .

ظلّ يتطلّع إليها بنظر أنه الصارمة لحظة في صمت ، ثم بدا
صوته خفياً ، شديد العمق ، وهو يقول :

— إنك تستحقين مكافأة .

ول برود .. التقطت مسدسه من جرابه الجلدي الأنيق ،
مستطردا في صرامة :

— مكافأة مناسبة .

تراجعت (فولجا) في رُغب ، وهي تتطلّع إلى قُوّة كاتم
الصوت ، الذي يتقدم المسدس ، قائلة في صوت متحرج
تحتق :

— إنه عمل .. إنني أنفذ الأوامر دائما .

اتسعت عينا (منى) في دهشة ، وهي تحلق في شفتي
(بالفلوف) ، اللذين خرج منهما صوت مخالف لصوته ، يقول
في غضب صارم :

— لقد أقسمت أن أقل كل من يمسّ هذه الفتاة بسوء ،
وأنا لا أحتث بقسمي أبداً أيها البديعة المتوحشة .

حقن الرُعب صوت (فولجا) في حلقها ، واتسعت عينا
(فولف) ، وهو يتف في دهشة :

— يا للشيطان !!

أما (منى) ، فعلى الرغم من كل ما تشعر به من الام
مُرحّة ، إلّا أنها قفزت من مقعدها ، وهي تهتف في سعادة
غامرة :

— (أدهم) ١٢. مستحيل ١١. كنت أعلم أنك ستبني
لنحدي .. كنت أعلم أنك لن تتركني ..

ثم انحطت في بكاء حار ، على حين اتسعت عينا (فولجا)
في رُغب وذُهل ، وعجزت حتى عن الصراخ ، و (أدهم) ،
الذي يتحل شخصية الخيال (بالفولف) ، يستطرد في غضب :
— إنك تستحقين أن أمر هذا الطبيب اللعين ، الذي
تجاهل كل معنى للرحمة والإنسانية ، اللتين من المفروض أن
يؤمن بهما ، ويعمل من أجلهما — بجر أطرافك ، واحدا بعد
الأخر ، لتدق العذاب ، الذي أردت أن تسوميا إياه ، ولكن
ذينا يقول : «إذا قطع فأحسوا القطعة» .. ويؤكد أن لنا في
القصاص حياة .. والوحوش من أمثالك يستحقون القتل أيها
الخبيثة ..

تخشع صوت (فولجا) في شدة ، وهي تغمغم في رُغب :
— كلاً .. كلاً ..

وفي برود وغضب ، رفع (أدهم) قُوته مسلّسه نحو
وأس (فولجا) ، وهو يقول :

— إلى الجحيم أيها المتوحشة ..
صاحت (منى) فجأة في دُغر :

— كلاً يا (أدهم) .. كلاً ..

ثم هبت من مقعدها ، على الرغم من كل ما تشعر به من
آلام ، وتعلقت بذراعه ، هائفة في ضراعة :

— إنني أعلم أنك ستفعل ذلك من أجل ، ولكنني أتوسل
إليك ألا تفعل .. صحيح أنني أمقت هذه اللعينة شراً المقت ،
ولكنني أعلم أن قلبها يخالف شيمتك ومبادئك .. فأنت لم تقتل
أيذا امرأة ، أو شخصاً أعزل ، وهي الآن تجمع بين
الصفين .. وسأكون أشد أهل الأرض يؤساً ، لو أنك خالفت
مبادئك من أجل .. إنني أحبك هكذا يا (أدهم) ، بكل
صلابتك وإيمانك ، وعنادك وقوتك .. أحبك بإصرارك على
المضي في طريق الحق ، وإخلاصك لوطنك ومبادئك .. إنني
كذلك من أجل يا (أدهم) .. أرجوك ..

فاض الخنان من عينيها ، وهو يرت على رأسها ، مغسفاً في
عاطفة جياشة :

— سأبقى يا (منى) .. سأبقى عليها من أحلك .. من
أجلك وحدك ..

كان الموقف عاطفياً عجيباً ، وسط قبو الجحيم ، ولكنه
منح (فولجا) ما يكفي لاسترة جأشها ، وتلقط مسلّسها من
حزامها ، ثم تولعه نحوها ، صارخة في ثورة :

— أما أنا فلن أبقي عليكما .. سأقتلكما معا ..
وانطلقت الرصاصتان داخل القبر ، أصابت كل منهما
هدفها في إحكام شديد ..

اجتاح الانفجار جسد (مارتينا بوشكين) ، وهي تزحف
محصلة من شعرها الذهبي عن عينيها ، وتشير بأصابع مرتجفة
إلى رجل يدين ، اجتاح ميدان الحزب في خطوات هادئة ، قبل
أن يتوقف إلى جوار تلك النافورة الأثرية الأنيقة ، التي
توسطه ، ويتطلع إلى ساعده في اهتمام ، ثم يتلفت حوله في
تروق ، وهتفت في هياج :

— ها هوذا .. ها هوذا (قدرى) .. سيصل (أدهم
صوى) بعد لحظات .

هتف الضابط ، الذى يقف إلى جوارها ، في دهشة :
— لقد وصل مبكراً للغاية ، فالساعة لم تتجاوز الثالثة
بعد .

صاحت في انفعال :

— فليصل وقتما يشاء .. المهم أن وصوله يغيب صحة
الموعد . وأن (أدهم صوى) سيفق في قبضتنا ولا شك .

تطلع إليها الضابط في دهشة ، وهو يغمغم :
— يبدو أنك تحملين حقنا شديداً لذلك الجاسوس ، أيتها
الرفيق الملازم .

صاحت في وجهه في صرامة :

— ليس هذا من شأنك .

ثم عادت عيناها لتلتصعا في وحشية ، وهي تستطرد في
شراسة :

— إنه جاسوس ، وأنا أكره كل جاسوس .. وبالذات
هذا الرجل .. (أدهم صوى) .

هز الضابط كتفيه ، وهو يتطلع إليها في خيرة ، ثم غمغم :
— هذا طبيعي .. ولكننا سنقضى على هذا الجاسوس
بالتأكيد .

ألقب (مارتينا) نظرة طويلة ، مُفعمّة بالكراهية ، على
(قدرى) ، ثم قالت :

— نعم .. سنقضى عليه بالتأكيد .

لم يبلغ صوت الرصاصتين مسامع الحارس ، الذى يقف
متأنقاً على باب القبر ، لأن الرصاصتين قد انطلقتا من قُوَّة
مسدس مزوّد بكاتم للصوت ..

ولكنه لم يكن مسلح (أدهم) ..

كان مسلح (فولف) ، الذى أطلق رصاصتين صائتين ،
اخرقت إحداهما رأس (فولف) ، بين عينيه تماماً ، وأخافت
الأخرى بمس (أدهم) ، قبل أن يقول فى هدوء :

— هذا لا يخالف مبادئك .. أليس كذلك ؟

استدل (أدهم) فى هدوء ، على حين جدقت (منى) ،
فى دغبر ودهشة ، فى وجه (فولف) ، قبل أن يقول
(أدهم) ، فى لحظة اقرب إلى السخرية :

— بلى ، أنت قتلتها ، لا أنا .

وإن الضمت لحظة ، ثم قال (فولف) :

— انزع قناعك ، ودعنى أرى ملاحك .

وبكل هدوء ، نزع (أدهم) ذلك القناع ، الذى يحمل
وجه الجنرال (بالفوف) ، فبدت ملامحه الوسيمة ، وابسامته
الساخرة ، وهو يقول :

— ها هو ذا . والآن يمكنك أن تطلع قناعك
بدورك .

هتفت (منى) فى دهشة :

— قناعه .

وتضاعفت دهشتها ، حينما نزع (فولف) عن وجهه
قناعاً ، فظهرت ملامحه الحقيقية المعروفة ..

ملاح (موسى دزرايلى) ..



٩ - المباراة ..

ارتفع حاجبا حارس أمن بوابة مبنى إدارة اخبارات الشرقية ،
في دهشة ، حينما رأى قائده الجنرال (بافلوف) يقفز من واحدة
من سيارات الأجرة ، متوهم العين اليسرى ، ويدفع في غضب
داخل المكان ، دون أن ينتظر تحية الحارس العسكرية ..
ولم تكن دهشة العاملين بالمبنى بأقل من دهشة الحارس ،
حينما رأوا قائدهم يدفع نحو حجرة مكبه ، بكدمة زوفاة كبيرة
حول عينه ، وهتف به حارسه في هلع :

— ماذا أصاب عينك أيها الرفيق الجنرال ؟

صاح به (بافلوف) في جدة :

— أرسل لي (ألكسى) على وجه السرعة .

ارتفع حاجبا الحارس في دهشة ، وهو يقول :

— ولكنه ليس هنا يا سيدي .

صاح (بافلوف) في غضب :

— أين ذهب بحق الشيطان ؟

ارتفعت الخيرة على وجه الحارس ، وهو يقول :
— أنت أرسلته في مهمة خاصة يا سيدي ، منذ ساعتين .
ارتفع حاجبا (بافلوف) الكئيب ، واتمت عيناه في
ذهول ، وهو يهتف :

— أنا ؟! أنا أرسلته ؟

غنغم الحارس في مزيج هائل من الدهشة والخيرة :

— نعم أيها الرفيق الجنرال ، لقد طلبت استدعائه ، حينما

أثبت هنا منذ ساعتين ، و.....

قاطعه صرخة (بافلوف) :

— يا للشيطان !!

ثم قفز إلى مكبه ، واحتطف ساعة الهاتف ، وهو يقول في

عصية والفعال :

— تعال إلى مكنتي على الفور يا (يوجيف) .. نعم .. إنه

أمر بالغ الخطورة .. بل هو على الدرجة القصوى منها ..

نعم .. هناك جاسوس يتحلل شخصيتي ..

ووضع ساعة الهاتف في قوة ، في نفس اللحظة ، التي

اندفع فيها (ألكسى) إلى مكبه ، هائفاً :

— سيدي الجنرال .. لن تصدق ما عثرنا عليه في منزل

(مارتينا) .. لقد صدق خدمك ياسيدى .. إنها جاسوسة
مزدوجة .

اتسعت عينا (بافلوف) في ذهول ، وهو يتفقد :

— جاسوسة مزدوجة ؟! .. (مارتينا يوشكين) ؟!

أجابه (الكسى) في انفعال :

— نعم ياسيدى .. لقد نفذت أوامرك ، وفهمت بطيش

مكبتها ، فعبثت على ما لا يمكن أن يخطر ببالك ..

غمغم (بافلوف) في ذهول :

— تفطيش مكبتها ؟!

ثم نهاوى على مقعده ، وكأنما لم يعد يحتمل مزيداً من

المفاجآت ، عل حين ألقى (الكسى) أمامه بكومة أشياء ،

وهو يستطرد بنفس الانفعال :

— انظر أيها الرفيق الجنرال .. انظر ما عثرنا عليه لدى

(مارتينا) .. إنها أخطر قضية في تاريخنا .. إنها قبلة .

حدق (بافلوف) في الأشياء الناثرة أمامه في ذهول ، ثم

أعطى وجهه بكفيه ، وهو يغمغم في انبهار :

— مستحيل ..! .. مستحيل ..!

سأله (الكسى) في جزع :

— ماذا بك أيها الرفيق الجنرال ؟

لوح (بافلوف) بكفيه في مراوغة ، ثم سأل (الكسى) في

اهتمام :

— اسمع يا (الكسى) .. لقد قابلتني منذ ساعتين ،

وأمرتك بتفتيش منزل (مارتينا) .. اليس كذلك ؟

هتف (الكسى) في حماس :

— بلى أيها الرفيق الجنرال ، وإليك يعود فضل كشف

تلك الخاتنة .

رأى صوت (بافلوف) ، وإن لم يخل من تولو شديد ، وهو

يقول :

— وأين ذهبت أنا بعد ذلك ؟

أجابه (الكسى) في دهشة :

— إلى السجن المركزي ياسيدى .

اتسعت عينا (بافلوف) في دُعر ، وهو يتفقد :

— السجن المركزي ؟!

قلب (الكسى) كفيه في خيرة ، وهو يقول :

— نعم ياسيدى الجنرال .. هذا ما قلته أنت .

اختطف (بافلوف) سحابة الهاتف في عنف ، وصاح في

نوقها في تولو بالغ :

— صلتى بالسجن المركزى على الفور .. هناك محاولة
لتهرب الخامسة ، لابد من إحباطها فوراً ، مهما كان
الثمن ..

لم تفقد ملاح (موسى) حمودها التقليدى ، وهو يصوب
مسدسه إلى (أدهم) ، قائلاً فى برود :

— أظن أنه من العدل أن تعترف لى بالبراعة حقاً ، هذه
المرّة . فأنت لم تتوقع أبداً أنى اتحل شخصية ذلك الطبيب
الحقير .. أليس كذلك ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

— هذا صحيح ..

لم تتغير ملاح (موسى) الحامدة ، ولكن نبرة زفير تسللت
إلى صوته ، وهو يقول :

— كنت أعلم أن هذا الحقير يمتلك حرية حركة واسعة .
داخل وخارج السجن المركزى ، بحكم كونه خير التعذيب
الأول ، وأنه بصراً دوماً على تناول طعام غدائه مع زوجته ، فى
منزلها ، لذا فقد ترقبت خروجها ، وقتلتها ، واتحللت
شخصيته ، وعدت لأنتظر هنا .. كنت أعلم أنك ستسمى :

إنقاذ ميلتك بالضرورة ، فحين تعلم ، لى (الموصاد) ، أنك
شديد الصلابة ، وأنت لا تدخر جهداً لإنقاذها ، والدؤد
عنها ، مهما كانت الظروف .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— كم يسعدنى أنكم تعلمون ذلك !!

مط (موسى) شفته ، وهو يقول :

— إنها نقطة ضعف بالغة الخطورة ، لى شخصيتك يا رجل
التجارب المصرى .. فمن الضرورى أن يتجرد رجل الخبرات
الناجح من كل العواطف والمشاعر .

أجاب (أدهم) متبكفاً :

— هل تظن ذلك ؟

قال (موسى) فى جدية :

— بالتأكيد .. لقد جعلت عواطفك أتوقع خطورتك
التالية . وهذا يشيك كرجل تجارب .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة : أدهشت (موسى) ،
الذى احتفظ بوجهه الصخرى الجامد ، حتى قال (أدهم) :
— عطاء يا عزيزى (موسى) .. إنك لم تتوقع خطورتى
أبداً .. هل تعلم ماذا فعلت ، منذ تركت أنا و (قدوى) ؟ ..

لقد ذهبت لزيارة منزل (مارتينا) ، ووضعت هناك بضعة أشياء ، مستوذي بالضرورة إلى إعادتها ، أو نفيها إلى (سيبريا) على الأقل ، هل تدري طبيعة هذه الأشياء يا رجل (الموساد) .

ثعمم (موسى) في ضيق :

— لا ريب أنها بعض الأدلة ، على عملها لحسابنا

انسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— أخطأت أيا الوغد .

ثم استرد في جدية :

— هنا يا صديقي ، في (برلين الشرقية) ، توجد مهمة أشد

خطورة من العمل لحساب (الموساد) .. مهمة تثير جنون

وحفيظة رجال الأمن في شدة .

وقد ساعديه خلف ظهره ، وهو يستعيد لمحة

الساخرة ، مستطرذا :

— حينما يفتشون منزل عزيزتنا (مارتينا) ، سيعلمون في

دكن خفي من حقائبها ، على بطاقة أنيقة تعمل صورتها ، وإلى

جانبا شعار قدم ، ما زال يثير بغض كل دول العالم تقريبا .

شعار الحزب النازي .



أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أدهشت (موسى) ،
الذي أحفظ بوجهه الصخري .

ارتفع حاجبا (موسى) ، وهو يفهم في دهشة :
— يا للشيطان !!

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يستطرد :
— صليب أسود معقوف ، وسط دائرة بيضاء ، يحيط بها
مستطيل أحمر — شعار محجف ، خاصة لو أضفنا إليه صفة
خاصة ، تؤكد أن (مارتينا بوشكين) زعيمة منظمة جديدة ،
تسمى لإحياء النازية في شرق (أوروبا) و (آسيا) ، وبعض
الرسائل المتبادلة بينها وبين أفراد وهيين في هذه المنظمة ،
وتحمل توقيعًا كوديًا ، هو اسم (مارتينا كوربوف) .. وهو
نفس الاسم المدون في تلك البطاقة ، التي تحمل صورة عزيزنا
(مارتينا بوشكين) .

وإن الصمت لحظة ، ثم غنم (موسى) في بروود :
— فلنذهب (مارتينا) إلى الجحيم .. إن أمرها لا يتغير
أبدًا .

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى ساخرة ، وقال :
— انتظر يا عزيزي (موسى) .. إنني لم أتم حديثي بعد ،
فلقد كانت خطوتي التالية هي التسلّل إلى منزل الجنرال
(بالفوف) ، رئيس إدارة المخابرات الشرقية ، التي هي في

الواقع فرع من الفرع (كى . جى . فى . فى) (ألمانيا الشرقية) .
ولقد أصيب الرجل بالذهول ، حينما رأى ، فتحدثت إليه
قليلاً .. ولما وجدت أنه يتوسى المقاومة ، أهديته لكلمة
طريفة ، ألقت به في غيوبة طويلة ، ثم صنعت قناعًا لوجهه ،
هو ذلك القناع الذى نزعته الآن .

قال (موسى) في بروود :
— وماذا يعني في هذا ؟
هزّ (أدهم) كتفيه . وقال :

— لقد تصوّرت أنه يتيك ، فلاشك أن (بالفوف)
سيقوم الدنيا ويقعدها ، بحثًا عن ذلك الرجل الذى تسلّل إلى
منزله .. وبالتساسة ، لقد استخدمت اسمك ، وأنا أخبره
باسمى ، وكنت بالمصادفة أحل وجهًا بشبك غامًا .
عقد (موسى) حاجبيه في غضب ، وهو يتخيلج (أدهم)
بنظرة صارمة ، ثم قال في ببطء :

— أنت ثعلب شيطاني يارجل المخابرات المصرى .
هزّ (أدهم) كتفيه في استهزاء ، واكفى بابتسامة ساخرة ،
دون أن ينس ببسب شفة ، فاستطرد (موسى) في جلدة ،
أفقدت ملامحه جودها :

— هل تصور أنك أفضل مني ؟

مط (أدهم) شفته السفلى ، وهو يقول في هدوء :

— بالتأكيد ..

رفع (موسى) سلسه في وجه (أدهم) ، بامتداد

ذراعه ، وهو يقول :

— سأفلك من أجل هذا يا (أدهم صبرى) .

اتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— لن يبت ذلك أنك الأفضل ، فأنت تحمل سلاحك ،

وأنا أعزل ، ولو أنني أحمل سلسه بدورى ، لاختلف الأمر

تماماً .

انعقد حاجبا (موسى) في غضب ، وانحى في صرامة نحو

سلس (أدهم) ، فالتقطه ، وقال له (منى) :

— ابتعدى .

تطلعت (منى) إلى (أدهم) في قلق وتساؤل ، فأومأ

برأسه إيجاباً ، مما جعلها تتركه ، وتبعد إلى ركن الحجره ،

فألقى إليه (موسى) السلس ، وهو يقول :

— ضعه في حزامك ، وحذار أن تحيط مقيضه بأصابعك ،

وإلا أطلقت النار عليك .

وضع (أدهم) السلس في حزامه بهدوء ، فاستطرد

(موسى) في حدة :

— سنخبر الآن من منا الأفضل يا (أدهم صبرى) . سأصع

سلسي في حزامي بدورى ، ونفذ زميلك إلى ثلاثة ، ثم يطلق كل

منا النار نحو الآخر ، وبعدها سيقى الأفضل ، ويذهب الأبطأ .

اتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— أهى تشبه لعبة رعاة الأبقار الأمريكين ؟

أجابه (موسى) في صرامة :

— تماماً .

ثم أردف في حزم :

— ولتعلم أنني لم أخطئ إصابة هدف قط .

أجابه (أدهم) في برود :

— حتى الآن .

ثم أشار إلى (منى) ، بعد أن وضع (موسى) سلسه في

حزامه ، فتردأت لحظة ، ثم بدأت القعد بد (واحد) ، ثم

(اثنين) .. وقبل أن تلفظ بالرقم الثالث ، سحب (موسى)

سلسه ، وصاح :

— والآن مت يا (أدهم صبرى) . مت ..

١٠ - اقتل تريح ..

رفع قائد السجن المركزي ساعته هاتفه ، إثر رنينه المتواصل . وقال في مزيج من الصرامة والضييق :
- هنا العقيد (مولوتوف) ، من المتحدث ؟

أثار صوت محذته دهشته وذغره إلى أقصى حد ، حتى أنه هب من مقعده ، وانتصب في وقفة عسكرية ، وهو يردف :
- نعم أيها الرفيق الجنرال (بافلوف) .. إنه أنا .. نعم ..
إنني أستمع جيداً .

اتسعت عيناه في ذهول ، وهو يستمع إلى كلمات (بافلوف) الصارخة ، مردداً :

- جاسوس يتحل شخصيتك ١٢ .. هنا ١٣ .. في السجن المركزي .. نعم .. نعم .. نعم أيها الرفيق الجنرال ، سأخذ كل الإجراءات اللازمة ، لمنع خروجه ، وإلقاء القبض عليه ، أو قتله إذا لزم الأمر .. نعم أيها الرفيق الجنرال .. سننتظر حضورك بالتأكيد .

ووضع ساعته الهاتف في ذهول ، وهو يردد :

- جاسوس يتحل شخصيته ١٥ .. هنا ١٤ ..

ثم التقط بوق مكبر الصوت الداخلي ، وهو يستطرد في غضب حازم :

- لا ريب أنه جاسوس خطير ، حتى ينجح في الدخول إلى هنا هكذا .. ولكنه مادام قد دخل بقدميه ، وكامل إرادته ، فلن يغادرنا سوى بإرادتنا .. أو جثة هامدة .

لم يطلق (موسى) رصاصة مسلّسه ..

لم يطلقها أبداً ..

لقد سحب مسلّسه قبل نهاية القيد ، ليقتل (أدهم) غدراً وغيلة . ولكنه لم يفعل ..

لقد التقطت عين (أدهم) حركته السريعة ، وتحركت يده في سرعة خارقة ، تكاد تنطرق على البرق ذاته ، فالتقط مسلّسه من حزامه ، ورفع قوّته نحو صدر (موسى) .. وأطلق النار ..

واخترقت رصاصة (أدهم) صدر (موسى) ، في موضع القلب تماماً ، قبل أن تنطلق رصاصة هذا الأخير ، فجحطت

عيناه في ألم وذُهور ، ورفع كفه إلى صدره ، يتحسّس الدماء ،
التي اندفعت من جرحه في غزارة ، ثم غمغم في ذُهور :

— يا للشيطان !! .. إنك الأسرع !!

أعاد (أدهم) المسّس إلى حزامه ، وهو يقول في هدوء :

— نعم يا (موسى) .. هذا ما ألبسه التجربة .

تولّع (موسى) في تقاؤل ، ورفع مسّسه نحو (أدهم) ،

وهو يقول في ضعف :

— ما زال يمكنني أن أقتلك .

أجابه (أدهم) في صرامة :

— يمكنك أن تحاول .

أغرقت الدماء قميص (موسى) ، وهو يحاول تصويب

مسّسه نحو (أدهم) ، ثم ضغط الزناد ، ولكن رصاصه لم

تصب (أدهم) ..

لقد مرقت على قيد سيمتر واحد من رأسه ، دون أن

يتحرك (أدهم) قيد أنملة .

لقد أخطأ (موسى حاييم دزرائيل) إصابة هدفه . لأوّل

مرة في حياته .

ولآخر مرة .

وغمغم (موسى) في انبساط :

— نعم .. إنها النهاية ..

ثم سقط جثة هامدة ..

ورأى صمت رهيب داخل القبر ، قبل أن تغمغم (منى) :

— لقد .. لقد قتلتك .

أجابها (أدهم) في هدوء :

— هذا ما كان ينبغي أن أفعله منذ البداية .

ولم يكذب بسم عبارته ، حتى انطلق صوت العقيد

(مولوتوف) ، قائد السجن ، غير مكبرات الصوت

المنتشرة في المكان . وهو يقول في انفعال :

— فليته الجميع .. الجنرال (بالفلوف) ، الذي حضر

لزيارة السجن منذ ساعة واحدة ، ليس هو الجنرال

(بالفلوف) الحقيقي .. إنه جاسوس زائف .. اجتخوا عنه

واقطعوه .. أكرّر .. اجتخوا عنه واقطعوه ..

وقبل أن يكرّر (مولوتوف) نداءه ، اندفع حارس القبر

داخلة ، وشهر مدفعه الرشاش في وجه (أدهم) و (منى) ،

وضغط الزناد .

تطلع (قدرى) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى
الرابعة وعشر دقائق ، ثم زفر فى قلق ، وتحرك من مكانه ، وهو
يشير إلى واحدة من سيارات الأجرة ، فهبطت (مارتينا) ،
التى تراقبه مع رجال الأمن من بعيد ، فى دهشة :

— ماذا ؟!.. هل سينصرف قبل أن يحين الموعد ؟

أجابها الضابط الذى يجاورها ، فى قلق :

— نعم .. هذا ما يدور ..

أصمت عيناه فى دهشة ، وهى تفهم :

— ولكن كيف ؟.. كيف ؟

ثم لم تلبث أن عقدت حاجبها ، وهى تفكر فى عمق ، قبل
أن تهبط :

— يا للشيطان !!.. إنها تحدة .. لقد كان تحدة منذ
البداية .

ثم تشتت بذراع الضابط ، وهى تستطرد فى انفعال :

— لقد كانوا يشنون اتهاها فحسب ، حتى تبقى هنا ،
ونقضى الوقت فى مراقبة ذلك البدين ، على حين يضرب
(أدهم) ضربه فى مكان آخر .. فى السجن المركزي على
الأرجح .

هتف الضابط فى غضب :

— لا بد من إلقاء القبض على ذلك البدين .. سأقتله

عسلى .

صاحت فى عصبية :

— كلام .. بل ينبغي أن نتركه يذهب ، ثم نبعه عن كلب ،

فلاريب أنه سيلقى بذلك الشيطان المصرى إن عاجلاً

أو آجلاً .

وحلت كلماتها بهتافاً خفيفاً ، وهى تزدف :

— وعندك سائل (أدهم صبرى) .. سأقتله بنفسى .

قبل أن يطلق حارس القبو رصاصة واحدة ، استدار

(أدهم) فى سرعة البرق ، وأطلق رصاصة من مسدسه على

رأسه ، فأرداه قتيلاً ، على حين هتفت (منى) :

— ماذا ستفعل ؟!.. إنهم سيحيطون بنا بعد قليل .

انجذ (أدهم) نحو جثة (موسى) ، وهو يقول فى حزم :

— ساعدنا (موسى) على الخروج من هذا المأرق .

هتف فى دهشة :

— (موسى) ؟!..

أجابها (أدهم) وهو ينحني : لينزع معطف الطبيب
الأيض ، الذي يرتديه (موشى) :

— نعم .. سيلدنا هذا الوغد بعد مصرعه ، بأكثر مما فعل
في حياته

وبسرعة راح يخلع زئى (بافلوف) العسكرى ، ويلبسه
لـ (موشى) ، بعد أن نزع عنه ثيابه ، وارتداها هو ، ووضع
فوقه المعطف الأبيض ، الذى تلوث صدره بدماء (موشى) ،
ثم التقط ذلك القناع ، الذى كان يرتديه (موشى) ، والذى
يحمل وجه الطبيب (فولف) ، وثبته فوق وجهه فى إحكام ،
ثم تناول قناع (بافلوف) ، ووضعته على وجه (موشى) ،
وقال لـ (منى) :

— ارتدى ملابس ذلك الجندى الصريع .. هيا .. بسرعة

أسرعت ترتدى زئى الجندى ، ورفعت شعرها الأسود
الطويل فوق رأسها ، وأخضته بخوذة الجندى ، ثم أمسكت
مدفعه الرشاش ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أصوات أقدام
الجنود ، وهم يدفعون نحو القبر .. فنزع (أدهم) كاتم
الصوت عن صدره ، وأطلق منه رصاصتين فى الهواء ، وهو
يصرخ مقلدا صوت الطبيب :

— التجدد يا رجال !! إن الجاسوس هنا .

ثم دفع (منى) خارج القبر ، ولحق بها أمام عيون
الجميع ، وهو يضع يده على صدره ، فتهتف به أحد الجنود :
— أهو بالداخل أيها الطبيب ؟

هتف (أدهم) فى ضعف :

— نعم .. لقد أطلق علينا النار ، وأصابنى برصاصة فى
صدرى .. انظروا .. انظروا .. انظروا إلى الدماء ، التى تلسوت
معطفى ..

لم يتطلع أحدهم إلى الدماء ، بل راحوا جميعا يطلقون
ليرانهم نحو القبر ، فى غزارة وعنف ، على حين دفع (أدهم) (منى)
أمامه ، وهو يقول :

— لحذنى إلى أقرب وحدة طبية أيها الجندى .. هيا ..

أسرع قبل أن ألفظ أنفاسى ..

واصل الجنود إطلاق النار على القبر ، دون أن يلتفت أحدهم
إلى (أدهم) و (منى) ، وهما يصران الصفوف إلى الخارج ،
وحى تتظاهر بمساندته ، ومعاونته ، حتى بلغا إحدى سيارات
السجن ، فالتقى (أدهم) جسده داخلها ، وهو يتظاهر
بالإعياء الشديد ، وفقرت (منى) خلف عجلة القيادة ،



وهي تظهر بمسندته ، ومعاونته (حتى بلغا إحدى سيارات السجن

وانطلقت بالسيارة نحو باب السجن ، ولم يكده حارس الباب
بوقوفهما ، حتى هتف به (أدهم) :

— اتح يا رجل بحق الشيطان .. ألا ترى أنني مضاب
برصاصة في صدري .

تطلع الحارس إلى وجه (أدهم) ، الذي يرتدى قناعاً
مما لا لوجه الطيب ، ثم أسرع يفتح الباب ، فانطلقت (منى)
بالسيارة ، وهي لا تصدق أنهما قد غادرا السجن المركب ،
ورأت في مرآة السيارة باب السجن يُفلق خلفهما ، ثم رآته
يفتح مرة أخرى ، فغمغمت في قلق :

— يبدو أنهم قد كشفوا أمرنا يا (أدهم) .

أجابها في سخرية :

— بل هم يستقبلون زائراً يا عزيزتي .. هيا .. أذى التحية
العسكرية ، فليس من اللائق ألا يفعل جندى عادى ، أمام
رئيس المخابرات الشرقية .

وفعت عينها إلى الطريق في دهشة ، فطالعتها رجة
(بالفلوف) ، داخل سيارة تنطلق بسرعة نحو السجن ، فرفعت
يدها بالتحية العسكرية ، وهي تواصل طريقها ، حتى تجاوزتها
سيارة (بالفلوف) ، فخبطت يدها ، وهي تزفر هاتفة :

— يا إلهي !.. لقد نجونا .

اعتدل (أدهم) ، وتخلص من معطف الطيب ، الملوّث
بالدماء ، وهو يقول :

— ليس بعد يا عزيزي .. إننا لم نغادر (برلين الشرقية)
بعد ..

سأله في قلق :

— ومتى ستفعل ؟

أجابها في هدوء :

— من المفروض أن نستقل طائرة الخامسة ، إلى (فينا) ،
ومنها إلى (القاهرة) ، وسوف ينتظرونا (قدرى) في المطار ،
و

قاطعتها ، وهي تهتف في دهشة :

— هل كنت تتوقع أننا سنستقل طائرة الخامسة ؟!

أجابها في هدوء :

— نعم .. فلقد قدرت أن هذا الوقت يكفي لنحامي في

إنقاذك ، أو

صمت فجأة ، فسأله في شغف :

— أو ماذا ؟

أضاف لحظة صمت أخرى ، ثم أجاب في هدوء :

— أو تصرّعي .

تطلّعت إليه في حنان وحب ، وهي تفهم :

— (أدهم) .. إننى

قاطعتها في هدوء :

— ليس الآن يا (منى) ، فستؤلف أولاً في منزل صغير

قريب ، استأجره (قدرى) هذا الصباح ، لتبدل ثيابنا

ووجهنا بأقصى سرعة ، ثم نوجه إلى المطار ، وحينئذ نصل إلى

(فينا) ، سيكون لنا حديث طويل .. طويل جداً ..

تطلّعت (مارتينا) إلى ساعتها ، التي أشارت إلى الخامسة

إلا الثلث ، وقالت في انفعال ، وهي ترفع بصرها إلى

(قدرى) ، الذي يقف قلقاً داخل مطار (برلين الشرقية) :

— إنه ينتظره ولا شك .. سلبتيان هنا ، أو يرحلان على

طائرة واحدة .

سأله الضابط الذي يرافقه :

— هل يمكنك تعرّفه حينئذ ترينه ؟

أجابته في صرامة :

— بالطبع .. مهما بلغت دقة تنكره ..

اعتدل ، وهو يسأله :

— هل تلقى القبض عليه فور وصوله ؟

هتفت في عصبية :

— نعم .. وليطلق الجميع النار على رأسه ، عند أول

مبادرة منه للمقاومة أو الفرار ، ولا تسمحوا له بـ.....

بترت عبارتها بغتة ، واتحمت عيناها في وحشية ، وهي

تطلع إلى رجل وامرأة هبطا من واحدة من سيارات الأجرة ،

وأسرعا إلى داخل المطار ، حيث استقبلهما (قدوى)

بانتعامة واسعة ، قبل أن يشيح عنهما بوجهه ، وكأنه

لا يعرفهما ، ثم يتجه في هدوء إلى حيث ينهى إجراءات سفره ..

وتعرفت (مارتينا) في الرجل والمرأة (أدهم) و (منى) ،

على الرغم من براعة تنكرهما ، فهتفت في انفعال :

— ها هو ذا .. بل ها هما ذان ، فلقد نجح في إنقاذ زميله ،

بإحدى وسائله الشيطانية ..

أدار الضابط محرك سيارته ، وهو يقول في انفعال مائل :

— سأصدر أمري بالهجوم على الفور ، وبممكنك اعتبار أنها

النهاية .. نهاية ذلك الشيطان المصرى ..

١١ — الجزاء ..

انزع العقيد (مولوتوف) ذلك القناع ، الذي يحمل وجه

الجنرال (بالفلوف) ، عن وجه (موسى) ، وأشار إلى هذا

الأخير ، قائلاً :

— أهو الجاسوس ، الذي تبحث عنه ، أيها الرفيق

الجنرال ؟

أوما (بالفلوف) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— إنه نفس الرجل ، الذي تسلل إلى منزلي

تتهمة (مولوتوف) في ارتياح ، وقال :

— لقد لقى مصرعه ، حينما هاجم رجال القنصل .. و.....

قاطعه (بالفلوف) في صرامة :

— أبلغ هذا — لاسلكياً — إلى العقيد (ألكسى) ، لينبئ

له أن يعلم بذلك ، قبل أن يتم مهمته .

لم يسأله (مولوتوف) عن طبيعة تلك المهمة ، أو عن

أدق ، لم يجزئ على سؤاله ، على حين سأله (بالفلوف) :

— أين الجاسوسة المصرية ؟

شحب وجه (مولوتوف) ، وهو يقول :

— إن رجالي يحلون عنها داخل السجن ، وسيجدونها بالتأكيد أين الرفيق الجنرال .

مط (بافلوف) شفيه في ازدياء ، وغمغم في غضب :

— أؤ لا يجدونها .. لم يعد ذلك يهم أيها العقيد .. لم يعد يهم أبدا ..

قبل أن يُعند العاصط المرافق لـ (مارتينا) أمره بالهجوم ،

وقبل أن تتحرك سيارته متزا واحدا ، اعترضت طريقها سيارة

أخرى ، قفز منها (ألكسى) ، واتجه نحو سيارته في خطوات

صرامة ، فهبطت (مارتينا) في انفعال :

— لقد وصلت في اللحظة المناسبة ، أيها الرفيق العقيد ..

إننا سنلقى القبض على الجاسوس .. و ..

قاطعها (ألكسى) في صرامة :

— ليس بعد يا (مارتينا) .. لقد فقدت صلاحيتك

لذلك ..

اتسعت عيناها في دهشة وذعر ، وهي تغمغم في ارتباك :

— ماذا تقصد أيها الرفيق العقيد ؟

أجابها في خشونة :

— أغني أن الجاسوس ، الذي تتحدثين عنه ، قد لقى

مصرعه داخل السجن المركزي ، وأن الجنرال (بافلوف) قد

أصدر أوامره بإلقاء القبض عليك ، ونقلك إلى هناك فوراً .

امتقع وجهها في شدة ، وهي تجف :

— ماذا تقول أيها الرفيق العقيد ؟! .. إن الجاسوس داخل

المطار في هذه اللحظة ، و ..

ارتفعت فجأة فؤوة مسدسة في وجهها ، وهو يقول في

صرامة :

— كلمة أخرى زائدة ، وأصنع ثقباً صغيراً في حجمك

يا (مارتينا) .. لقد انكشفت خيانتك ، وأنت الآن خارج

اللعبة تماماً ..

اغرورت عينا (مارتينا) بدموع الفهر ، وشحب وجهها

حتى حاكى وجوه الموتى ، وانتقل بصرها في وقت إلى المطار ،

حيث أنهى (أدهم) و (منى) و (قدرى) إجراءاتهم .

واتجهوا نحو الطائرة ، التي ستقلهم بعد دقائق معدودة إلى

(قينا) ..

إلى الحرية ..
وإلى النصر ..

افتتح وجه (دافيد) في شدة ، وهو يقول للجنرال
(سمحون) في اضطراب بالغ :
— لقد نجح (أدهم صبرى) يا جنرال .. لقد غادر (برلين
الشرقية) إلى (فينا) ، ومنها إلى (القاهرة) .. ولقد وصل
إلى وطنه سالمًا ، مع زميلة (منى) ، وصديقه (قدرى) ،
منذ دقائق .

شحب وجه (سمحون) في شدة ، وتطلع في طلع إلى رقعة
السطرغ . الموضوع أمامه ، وهو يسأل (دافيد) في صوت
مخفى :

— ألم يوقفه (موسى) ؟

أجاب (دافيد) في مرارة :

— لقد ألقى (موسى) مصرعه في السجن المركزي .
إرداد شحوب وجه (سمحون) ، وهو يهمهم :

— وماذا عن (مارتينا) ؟

أجاب في صوت أقرب إلى البكاء :

— لقد ألقوا القبض عليها ، بتهمة الحياة العظمى .
بلغ شحوب وجه (سمحون) ذروته ، حتى بات أشبه
بوجه المرقى ، واختفت الكلمات في حلقه لحظات ، قبل أن
يهمهم في صوت متحشرج :

— اخرج من هنا يا (دافيد) .

أطرق (دافيد) برأسه ، وهو يهمهم في أسف :

— معذرة أيها الجنرال ، ولكن القيادة في (تل أبيب)

أرسلت قرارًا بعزلك ، و

قاطعه (سمحون) في مرارة :

— اخرج يا (دافيد) .

عذلت كلفا (دافيد) ، وهو يجزأ رأسه في استسلام ، ثم استداع
مغادر الحجر ، وأغلق بابها خلفه ، على حين راح (سمحون)
يتطلع إلى رقعة السطرغ أمامه في ذهول ، قبل أن يهمهم في مرارة :

— إذن فقد نجح ذلك الشيطان المصرى مرة أخرى .

ثم انحنى ، ونقل تندقًا على الرقعة ، وهو يستطرد في ألم :

— كيش .. مات .

والنقط مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يلصق قوسه
بصلبته ، و

وبلغ صوت الرصاصة مسامع (دافيد) ، خارج الحجر .

١٢ - الختام ..

الخميس : الثامن من يونيو .. السادسة مساءً
وقد الجنرال (بالوف) يتطلع ، غير نافذة مكتبه ، إلى
الميدان الممتد أمامه ، حيناً دلف (ألكسى) إلى المكتب ،
وتتحدث ، فسأله (بالوف) ، دون أن يلتفت إليه :

— هل اعرفت (مارتينا) ؟

أجاب (ألكسى) في هدوء :

— ما زالت ترفض الاعتراف ، وتكرر آية صلاة لها بذلك
الحزب النازي الجديد ، وتدعى أنها لا تعرف أى فرد ممن
تضمنهم تلك القائمة ، التى عثرنا عليها فى مسكنها .

عقد (بالوف) حاجبيه الكثين ، وهو يقول فى صرامة :

— هل استخدمتم معها كل الوسائل ؟

أجاب (ألكسى) :

— نعم .. لقد غرستنا الإبر الساعنة تحت أظفارها .. ثم
لزعنا الأظفار نفسها بالقوة ، وعثرناها لصدمات كهربائية



بلغ شغوب وجد (ميمون) فزوته ، حتى بات
أشبه بوجود الموتى .

عيفة ، وكويتا جسدها بالثران ، ولكنها لم تعترف بعد .
ومازالت تدعى أنها كانت تعمل لحساب (الموساد) ، وليس
لحساب حزب تازى جديد .

قال (بافلوف) فى غضب :

— أريد الأسماء الحقيقية لكل أفراد ذلك التنظيم التازى
الجديد ، الذين حوت القائمة أسماءهم الكوردية ، يا (ألكسى) ،
مهما كان الثمن .

سأله (ألكسى) فى عجب :

— هل نلجأ إلى الوسيلة الأخيرة ؟

صمت (بافلوف) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

— نعم .. ابتروا أطرافها ، واتزعروا لسانها ، أو اقتنوا
عينها إذا لزم الأمر .. المهم أن نحصل على ذلك الاعتراف ،
مهما كان الثمن .

واصل صوته بالضرب والتورية ، وهو يردف صاخفاً :

— مهما كان الثمن ..

الخميس : الثامن من يونيو .. العاشرة مساءً .
نولفت سيارة صغيرة ، مصرية الصنع ، أمام واحد من أكبر

فنادق (القاهرة) ، وهبط منها (أدهم صبرى) فى حلة
سوداء أنيقة ، ودار حول مقعدتها ، ليقف بابها المقابل
له (منى) التى بدت كالبدر المنير ، فى ثوب تركوازى اللون ،
طويل ، وهى تتأبط ذراعها ، وتسير إلى جواره إلى داخل
الفندق ، حيث انتقا مائدة صغيرة ، تطل على نيل القاهرة ،
وجذب (أدهم) مقعد (منى) ليفتح لها طريق الجلوس ، ثم
جلس أمامها ، وهو يسألها فى رقة :

— أيروق لك المكان يا عزيزى ؟

أجابته بإسامة خجلى :

— كل مكان يروق لى ، مادمتنا معاً يا (أدهم) .

سألها فى حنان :

— كيف حال إصباتك ؟

أرمأت برأسها ، وهى تعغم :

— إنها تلتئم بسرعة ، ومشقى تماماً عن قريب ، بإذن

الله .

قالت هذا ، وهى تضم قبضتها ، محاولة إخفاء أظفارها ،
التي حوَّنتها (فولجا) إلى كتلة دائية ملتفة ، فبرئت على كفها
فى حنان ، وهو يقول :

— كل مهنة لها متاعها يا عزيزي ، ولقد كان من الممكن أن
يصبح الأمر أسوأ من ذلك

واقفته بإجماع من رأسها . ثم رفعت عينها إليه ، وهي تقول
في نفس

— إنني أدين لك بحياتي هذه المرة أيضا يا (أدهم)

اتسم . وهو يقول :

— على العكس . أنا الذي أدين لك بالفضل هذه المرة

يا عزيزي

سأله في دهشة

— كيف ؟

مال نحوها ، وهو يقول في جدية :

— لقد كنت أتفجر بالغضب . حينما رأيت ما فعلته بك

تلك الحقيبة ، في قبر السجن المركزي ، وكنت قد أقسمت

بالفعل على فصل كل من يمسك بسوء ، وكذبت أقتل تلك

المؤحشة في غمرة الغضب والثورة . لولا أن منجبي

خلطت عيني في حياء ، وهي تغتم

— لقد لقيت مصرعها على أية حال

تهل ، وهو يغتم :

— يند غيري لحسن الحظ ، وألا ظلمت — حتى نهاية

عمرى — أشعر أنني قد خالفت يوما كل ما أؤمن به .

وان عليهما الصمت لحظة ، ثم سأله بغتة :

— هل تظن أن (موسى) كان سيقدم على نشر أطرائ

بالفعل ، وهو يقمص شخصية ذلك الطبيب ، لو أنك لم تصل

في اللحظة المناسبة ؟

ضرد بعصره لحظات ، ثم أجابها في هدوء :

— بالنسبة لرجل من (الموساد) ، فالإجابة هي نعم .

ارتجف جسدها بمجرد تصوّر الفكرة ، وهي تغتم :

— يا للشناعة !!

اعتدل ، واتسم وهو يقول :

— ولكن لماذا تحدثت عن كل هذا ؟ .. إننا هنا ، الناس ،

ولنحتفل بنجاحنا هذه المرة .

اتصمت في سعادة ، وهي تقول :

— نعم . .. إننا هنا لنحتفل .

ثم مالت نحوه ، مستطردة في حنان هائس :

— وسنحتفل دوماً بالانتصارات . وبقاء وظفر الرجل

الذي أحترمه . والذي يحمل لقب (رجل المستحيل) .

[تمّت بحمد الله]



د. سار فاروق

رجل

المتحيل

سلطة

روايات

بوليسية

للكتاب

زائفة

بالأضداد

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

المشيرة

الجحيم المزدوج

- مامصير (أدهم) و (منى) ، معد أن
الغلت معركتهما إلى (بولين الشرقية) ؟
- كيف يواجه (أدهم صبرى) (ماريتا
بوشكين) العميلة السوفيتية ، و (عوشى
دزرائيل) ، رجل (الموساد) في آن
واحد ؟
- تبنى .. من ينصير هذه المرة ، (رجل
المتحيل) ، أم شيطانة (الجحيم
المزدوج) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة : لتبنى كيف يعمل
(رجل المتحيل) .



العدد القادم : قلعة الصقور

التمن قر مصير

٩٠

وما يعادله بالدولار

الأمريكي في سائر

الدول العربية

والعالم